

مُحَاضَرَةٌ بِعنْوَان



تَارِيخُ الكِتَابِ الفِقْهِيِّ

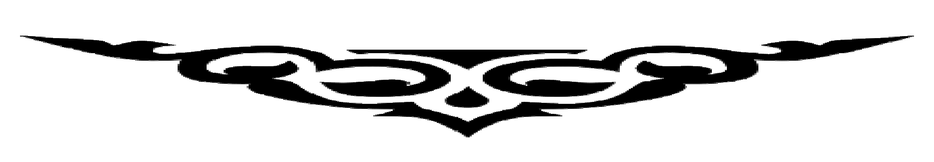
إلقاء /

مَعَالِي الشَّيْخ: صَالِح بن عبد العزيز آل شيخ

وزير الدولة عضو مجلس الوزراء

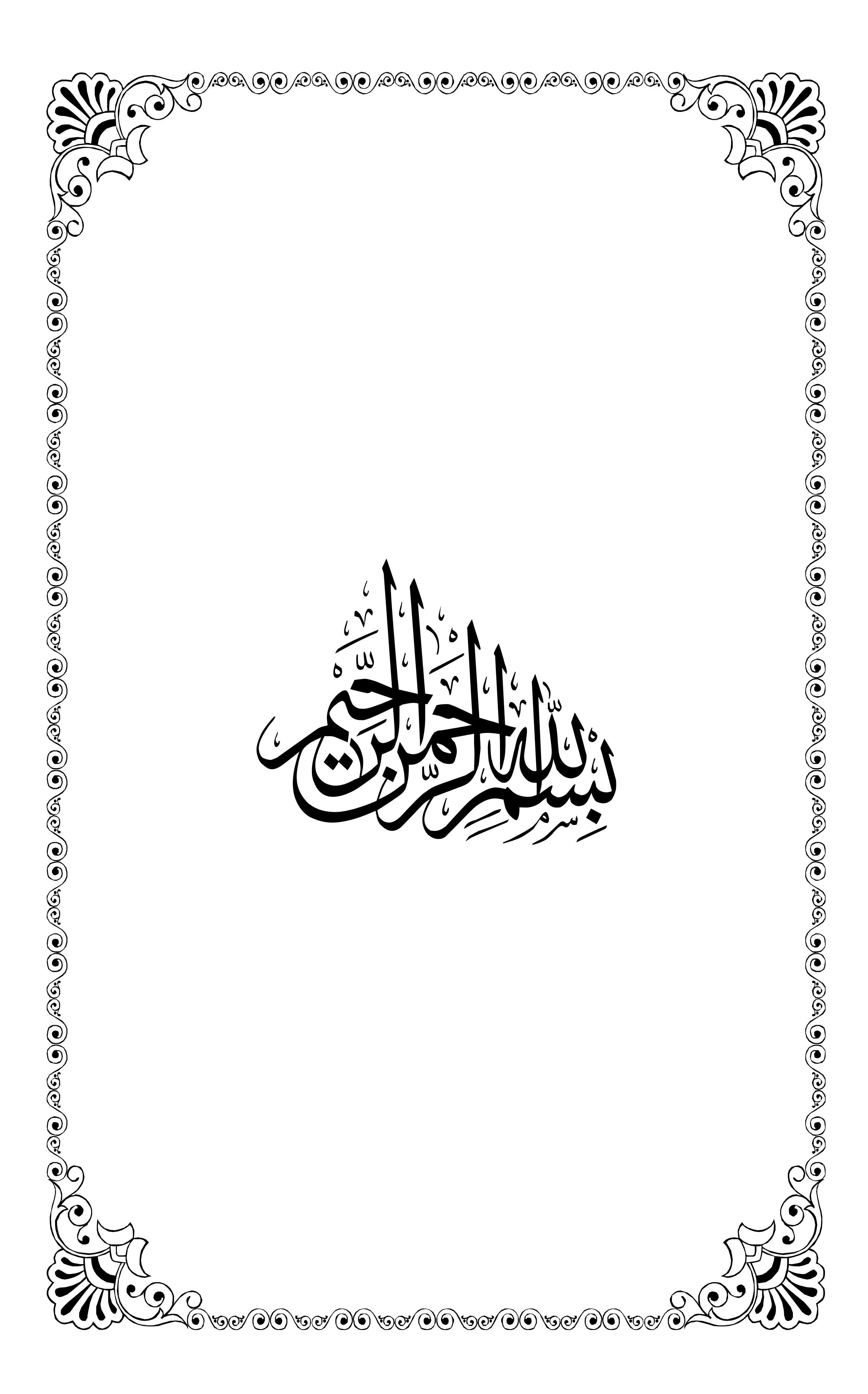
عضو مجلس الشؤون السياسية والأمنية

حَفِظَهُ اللهُ تَعَالَى








بسم الله الرحمن الرحيم

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

✍ مقدمة المحاضرة لمعالي عميد المعهد العالي للقضاء، عضو هيئة كبار العلماء. فضيلة الشيخ الدكتور/ عبد السلام بن عبد الله السليمان.

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَىٰ أشرفِ الأنبياءِ والمرسلين، نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وعَلَىٰآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

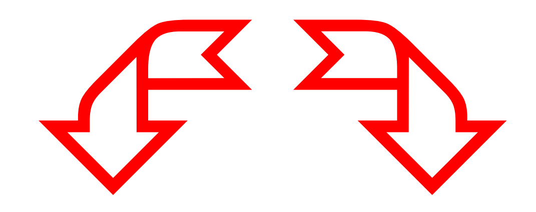
* في هٰذِه الليلة المباركة التي نسعد فيها بلقاء عالمٍ من علماءِ المملكة العربية السعودية، هو: شيخنا الشيخ/ صالح بن عبد العزيز بن مُحَمَّد بن إبراهيم آل الشيخ، جَدّه هو من أسَّس المعاهد العلميَّة والكليات، وكلية الشريعة في بداياتها في هٰذَا البلد المبارك، من بعدها أسَّس المعهد العالي للقضاء الذي تخرَّج منه عددٌ من أصحاب الفضيلة العلماء، وقد كنت أفتِّش في بعض الملفات القديمة في المعهد العالي للقضاء، فوجدت في تأسيس هٰذَا المعهد عام ٨٥ هجري نخبة من العلماء كانوا طُلَّابًا في هٰذَا المعهد، منهم عَلَىٰ سبيل المثال: الشيخ/ صالح اللحيدان، الشيخ/ صالح الفوزان، الشيخ/ صالح السدلان، الشيخ/ صالح الأطرم، الشيخ/ عبد الله الجبرين، وعدد من علماء هٰذَا البلد قد درسوا في هٰذَا المعهد الذي وجد عناية كبيرة من سماحة الشيخ مُحَمَّد بن إبراهيم.

كما وجدت مخاطبات ورسائل من سماحة الشيخ إِلَىٰ الشيخ/ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكذلك إِلَىٰ الشيخ/ عبد الله بن حميد، يراسلهم من أجل يحاضروا في هذا المعهد، من أجل أن يؤسسوا جيلا قويا جدًّا من أجل أن يحملوا هذه الرسالة العظيمة، وهذا ما حصل ولله الحمد.

ثُمَّ من بعده أبناء الشيخ/ مُحَمَّد بن إبراهيم رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ جميعًا، منهم: الشيخ/ عبد العزيز بن مُحَمَّد بن إبراهيم، وكان نائبًا للرئيس، ورئيسا للمعهد العالي للقضاء، ثُمَّ هو -كما أعلم- أول مدير لجامعة الإمام، فوجدت أيضًا من خلال النظر في تلك الملفات عناية العلماء الكبار بالمعهد العالي للقضاء، وَهٰذَا لاشك شرفٌ عظيم ولاشك أننا في هذا اليوم امتداد لذلك الجيل مع معالي شيخنا الشيخ/صالح بن عبد العزيز بن مُحَمَّد آل الشيخ.

✍**في البداية** لاشك أنْ نذكر وخاصةً في هذا المكان معالي الشيخ الدكتور/ أحمد بن سالم العامري الذي له جهد عظيم، خاصةً في هٰذِه الجامعة في تنظيمها، في تأسيسها، كما وجد المعهد العالي للقضاء عنايةً خاصَّةً، لما يعلم معاليه من أهمية هٰذَا الصرح الكبير، نسأل الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أن يجعل ذلك في ميزان حسناته.

في هٰذِه الليلة محاضرنا وشيخنا حَفِظَهُاللهُ يحدثنا عن "**تَارِيْخِ الكِتَابِ الفِقْهِيِّ**" في هٰذِه المحاضرة، ونسأل الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ له التوفيق والإعانة، ولا شك أنه شرفٌ لنا كبير أن نحظى بهذا اللقاء مع معالي الشيخ، نسأل الله له التوفيق، ونفتح المجال لمعالي الشيخ للبدء في هٰذِه المحاضرة:



✍**بداية المحاضرة مع معالي الشيخ/ صالح آل الشيخ:**

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة المحاضرة

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ، وأشهد أن لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وأشهد أنَّ مُحَمَّدًا عبده ورسوله، صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وعَلَىٰآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كثيرًا، نشهدُ أنَّه بلَّغ الرسالة، وأدَّى الأمانة، ونصحَ الأُمَّة، وجاهدَ في اللهِ حقَّ الجهادِ وتركها عَلَىٰ بيضاءَ نقية، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعده صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا هالك. اللَّهمَّ صَلِّ وسَلِّم عَلَىٰ عبدِك ورسولِك مُحَمَّد كلَّما صَلَّىٰ عليه المصلون، وصَلِّ اللَّهمَّ وسَلِّم عَلَىٰ عبدِك ورسولِك مُحَمَّد كلَّما غفل عن الصلاة عليه الغافلون؛ أَمَّا بَعْدُ:

☜**أيها الإخوة الكرام!** السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ...

في فاتحة هٰذِه المحاضرة أحمد إليكم الله تَعَالَىٰ أن يسَّر لنا أسباب الخير وأعاننا عليها، ونسأله سُبْحَانَهُ أن يثبتنا عَلَىٰ دينه، وأن يقيمنا عَلَىٰ المِلَّة، وأن يقيم بنا المِلَّة، وأن يجعلنا للمتقين إمامًا، ونسأله سُبْحَانَهُ أن يجعلنا مِمَّن غفر ذنبه وعفا عنه، وكتب له العافية في الدنيا والآخرة، إنَّه عَلَىٰ كلِّ شيءٍ قدير.

التقيتُ بفضيلة الأخ الشيخ الدكتور/ عبد السلام السليمان عضو هيئة كبار العلماء، عميد المعهد العالي للقضاء، وطلب منِّي أنْ أُشارك في هٰذَا البرنامج العلمي ولقاءات المعهد العالي للقضاء، فرَّحبت بذلك، ثُمَّ كتب لي أن يكون موضوع اللقاء: "**تَارِيْخُ الكِتَابِ الفِقْهِيِّ**".

وإنِّي بهذه المناسبة -مناسبة الدعوة، وما تفضَّل به ابتداءً في ذلك- أشكرُ أولًا لمعالي مدير الجامعة تنظيمه لهذا اللقاء، وحضوره، وَهٰذِه الحفاوة التي لا تُستغرب من جامعةٍ تحتضن أهل العلم، وتحتضن الكلمة الطيبة، وتحتضن أمانة العلم ونشر العلم، وأن يأخذ اللاحق بها أخذ السابق؛ من الحِرص عَلَىٰ أهل العلم وطلبة العلم في هٰذِه الجامعة العريقة، وأشكر لفضيلة الدكتور/ عبد السلام السليمان دعوته الكريمة جزاهم الله جميعًا خير الجزاء.

✍هٰذَا الموضوع اختاره المعهد العالي للقضاء، وهو "**تَارِيْخُ الكِتَابِ الفِقْهِيِّ**"، ولاشكَّ أنَّ المُطَّلِع عَلَىٰ تاريخ العلوم العربية بأنواعها وفنونها ليعلم أنَّ مثل هٰذَا الموضوع يحتاج إِلَىٰ محاضراتٍ كثيرة، وإِلَىٰ دروس تصلح أن تكون منهجًا في فصلٍ دراسيٍّ كامل؛ لكثرة جنباته وبداياته وتفاصيله، وكثرة الشبهات التي تَرِد عليه، والجواب عنها، ونحو ذلك مِمَّا نُشير إليه إِنْ شَاءَاللهُ تَعَالَىٰ في المحاضرة.

✍سبب طول هذا الموضوع وتعدُّد جنباته:

أنَّ تاريخ العلوم هو تاريخ الناس وتاريخ العلماء وتاريخ الفقه، فإذا أردت أن تتحدث عن الفقه فإنَّك تتحدث عن علماء الفقه، وعن الفقهاء عَلَىٰ مدى أربعة عشر قرنًا، وإذا أردت أن تتحدث عن الكتاب الفقهي؛ فإنَّ معنى ذلك: أنْ تتحدث أيضًا عن الحركة العلمية الشاملة في الفقه عَلَىٰ مدار أربعة عشر قرنًا وزيادة، وَهٰذَا -لا شك- عملٌ ضخمٌ كبير يحتاج إِلَىٰ جهودٍ كثيرة، ولقاءات متعددة، ولكن لن نعدم أنْ نخصص مقدمة لفهم هٰذَا الموضوع وبداياته، مِمَّا ييسر لطالب العلم أن يفهم شيئًا من تاريخ علم الفقه مدوَّنًا -يعني: "**تَارِيْخُ الكِتَابِ الفِقْهِيِّ**"-.

والعلوم الإسلامية تحتاج إِلَىٰ تدوين لتاريخ علومها وكتبها، فنحتاج إِلَىٰ تاريخ لكتب التفسير، وتاريخ لكتب القراءات، وتاريخ للحديث وكتب الحديث، وتاريخ لعلوم العربية، النحو، والبلاغة، وتاريخ لكتب التاريخ وكتب السير، وتاريخ أيضًا لكتب الفقه، ونحو ذلك.

⇦**الفقه إذا أُطلق فيراد به**: المسائل الفقهية، أمَّا العلوم المساعدة الصناعية التي ينبني أو تساعد في الفقه كـ"**أصول الفقه**" ونحو ذلك، فلا تدخل في حديثنا هٰذا؛ لأنَّه يكون هناك تشعُّب كبير في البحث، فإذا أردنا أن نبحث في تاريخ الكتاب الفقهي، فنعني به: تدوين الفقه في الصحف عَلَىٰ نحو كتاب، سواء أكان التدوين تدوينًا شاملًا للفقه أو كان تدوينًا جزئيًّا لبعض مسائل الفقه.

خَصَّ الله جَلَّوَعَلَا هٰذِه الأُمَّة -أُمَّة مُحَمَّد صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ- بأنَّها أمَّة "**اقرأ**"، فكان أول ما أُنزل عَلَىٰ النَّبِيّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤﴾[العلق:١-٤]، فالقراءة تقتضي مقروءًا، والمقروء يعني: مكتوبًا،

و﴿عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤﴾ تقتضي العناية بالقلم، وَهٰذِه الآيات -كما هو معلوم- أوَّل ما أُنزل في مكة، فهي أمرٌ مبكِّر في أن تعتني هٰذِه الأُمَّة بالكتابة والتدوين والقراءة، وتعلُّم الكتابة وتعلُّم القراءة.

* وفي فاتحة القرآن العظيم في سورة البقرة: ﴿الم ۝١ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾[البقرة:١،٢]، والكتاب يعني: أن يكون مكتوبًا، ومعلومٌ أنَّه كُتب في عهد النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القرآن في صحفٍ، وكانت تُجمع في صندوق كبير في مسجده عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عند أحد السواري، ثُمَّ جُمِع مرَّةً أخرى في عهدِ أبي بكر، ثُمَّ جُمع مرَّةً أخرى ووزِّع عَلَىٰ الأمصار في عهد عثمان بن عفَّان رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِيْنَ.

۞ فحثُّ الله جَلَّ جَلَالُهُ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ هٰذِه الأُمَّة عَلَىٰ الكتابة والقراءة والتدوين، وأن يكون هناك كتب لها، هٰذَا جاء مبكرًا، وامتثله الصحابة رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِم في عهده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأوَّل ما دُوِّن القرآن وبعض الأحكام المتنوعة، لكن كما هو معلوم كان الكُتَّاب في عهده عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قليلًا، كانوا قليلين، وكانت الأدوات المساعدة من الجلود ونحوها كانت صعبة، والأحبار كانت صعبة ونحو ذلك، وكانت الأُمَّة مشغولة بالفتوحات، ومشغولة بتثبيت الديانة ونشرها، فكانت الكتابة في عهده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لكثيرٍ من المسائل قليلةً وليست كثيرةً بالنسبة إِلَىٰ ما آل إليه الأمر في الحضارة الإسلامية، وَهٰذَا طرف من الأسباب التي ذكرتها، لكن مع ذلك كانت هناك كتابة مبكرة لعددٍ من الموضوعات في عهده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وهكذا في عهد الخلفاء الراشدين رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ كانت هناك كتابات وتدوين عَلَىٰ أكتاف الإبل وعَلَىٰ الجلود، ونحو ذلك، ثُمَّ في عهدِ التابعين.

➢ **النظر في هٰذَا الموضوع** -في موضوع الفقه وكتب الفقه- يقتضي هٰذِه المُقَدِّمة، وهو: أنْ نفهم أنَّ تدوين الفقهِ يختلف عن التصنيف الفقهي الذي آل به الأمر إِلَىٰ الكتب الفقهية، فكانت هناك مرحلة سبقت التصنيف الفقهي وكتابة كتب الفقه، ألا وهي: التدوين الفقهي في عهد النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والخلفاء الراشدين والعهد الأموي، إِلَىٰ تقريبًا سنة مائة وعشرين للهجرة.

☜ فكان مِمَّا دُوِّن من الأحكام الفقهيَّة:

الصحيفة التي كتب فيها النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعمرو بن حزم أحكامَ الصدقات والديات والفروض، وهي صحيفة معروفة مرويَّة بأسانيد كثيرة مجملةً، وقد رواها أصحاب السنن، كما هو معروف لأهل الاختصاص.

☜ وكانت أيضًا هناك صحيفة عند أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كما رواه ابن عبد البر في [**جامع بين العلم وفضله**] كانت عنده هناك صحيفة خاصَّة بالصدقات، وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان عنده كتاب أيضًا يتعلَّق بالصدقات والديات ونحو ذلك، علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان عنده صحيفة أو أكثر من الصحف يضعها في جراب سيفه، كما قَالَ ابنه: مُحَمَّد بن الحنفيَّة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِيْنَ، فيها الكلام عن الصدقات والديات وأشباه ذلك.

☜ وكان التدوين في عهد الخلفاء الراشدين وعهد النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهذه المسائل الصدقات، الديات، الفروض، ونحو ذلك، زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أفرض هٰذِه الأُمَّة زيد، كان عنده كتاب مُفصَّل كتبه بفهمه للآيات وما أمر به النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الفرائض، هٰذِه الكتابات كانت في هٰذِه المسائل المهمة، أمَّا المسائل الأخرى في العبادات فلم تكن تُقصد بالكتابة بأنها تُتلقَّى بالعمل، حاشا ما صنعه جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فيما رواه جابر بن عبد الله فيما رواه من سيرة حجته وصفة حجِّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّا هو معروف عند أهل العلمِ بحديث جابر بن عبد الله الطويل في الحج الذي رواه مسلمٌ في [صحيحه] في أثناء كتاب الحجِّ.

☚**وَأَمَّا بقيَّة المسائل** في الصلاة والصيام ونحو ذلك؛ فلم تكن مكتوبةٌ لأنَّها تُتلقَّى بالنقل، ولأنَّه لا حاجة لكتابتها وتفقيه الناس بها، بل الناس يتلقونها بالعمل، ويتلقونها بما يرون بها الناس ويرون عمل الصحابة عليهِ.

☚أيضًا ممَّن اهتمَّ بالتدوين المبكر للفقه: عروة بن الزبير أحد فقهاء المدينة المشهورين؛ فقد روى ابن سعدٍ في [الطبقات] من طريق ابنه هشام بن عروة: "**أنَّ أباه عروة بن الزبير كان عنده صحف أو قَالَ: كتب، فقدها يوم الحرَّة**"، يعني: نحو عام ثلاثٍ وستين للهجرة في أواخر ذي الحجة، لمَّا

كانت وقعة "**الحرَّة**" احترقت، وقال هشام بن عروة: إنَّ أباه عروة بن الزبير حزِن حزنًا شديدًا عَلَىٰ ما فقد من هٰذِه الكتب والصحف التي كان يكتبها.

وزيد بن ثابت دوَّن الفرائض-كما هو معلوم- وَهٰذِه الفرائض كانت مدوَّنة في كتاب ورُوِيت مستقلَّة، وتروى بأسانيد كما في كتب البرامج وكتب المشيخات، وهي موجودة ولها شرح، شرحها أيضًا أحد التابعين، وأقرأ هٰذَا الشرح في المدينة، وَهٰذِه صحيفة أو صحف زيد بن ثابت في الفرائض هي أوَّل كتاب شُرِح في الإسلام، شرحه التابعون وتلقوه، وكان الزهري الإمام المعروف كان يقول: "**الحَمْدُ لله الذي بقيت كُتُب أو كتاب زيد بن ثابت في الفرائض، وقد حفظ عَلَىٰ الناس دينها، أو حفظ عَلَىٰ الناس فرائضها**"وَهٰذَا أمرٌ عظيم جلل في هٰذِه الأمر.

التابعون دَّونوا في صحفهم أيضًا الكثير من المسائل الفقهية، فلمكحول كتاب [الحج]، ولغيره كتاب [السنن]، ونحو ذلك في التابعين، وكان الورق كما هو معلوم غير موجود، إنما كانوا يكتبون عَلَىٰ الجلود ونحو ذلك إِلَىٰ نهاية القرن اَلْأَوَّل إِلَىٰ نحو سنة مائة إِلَىٰ سنة مائة وعشرين تقريبًا.

هٰذَا العرض الموجَز المختصر بأمثلة محدودة دعا إليه ضرورة أن يكون عند طالب العلمِ معرفة بأنَّ التدوين الفقهي كان مبكرًا، وأنَّ من يطعنون في الشريعة ويطعنون في الفقه الإسلامي كما طعنوا في السُّنَّة والحديث وتدوين السُّنَّة أيضًا طعنوا في تدوين الفقه، وقالوا: إنَّ تدوين الفقه كان متأخرًا، وَهٰذَا غلط؛ فإنَّ تدوين الفقه كان مبكرًا، وإنما التصنيف الفقهي عَلَىٰ هيئة كتب ومبوَّبة ولها ترتيبها كان متأخرًا، يعني: بعد سنة مائة وعشرين للهجرة، كما سيأتي إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ.

ولهذا نقول هنا: إنَّ غلط عددٍ من المستشرقين كـ"**شاخت**" و"**جولد تسهير**" وأمثالهم وتبعهم في شيءٍ من ذلك بروكلمان الألماني في كتابه [تاريخ الأدب العربي]، هؤلاء كلهم أرادوا بكتابتهم نظرية تقول: إنَّ تدوين الفقه لم يكن إلا بعد سنة مائة وعشرين، أرادوا أن يقولوا: إنَّ التدوين الإسلامي كان متأخرًا؛ لأنَّ النصارى إنما دوَّنوا فقههم بعد أكثر من أربعمائة سنة من زمن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، واليهود في "**المِشْنَة**" المعروفة القسم الفقهي من "**التّلمُود**" إنما دُوِّن بعد نحو ستمائة سنة من عهدِ

موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فظنّوا أنَّ تدوين الفقه الإسلامي كان كذلك، وَهٰذَا غلط، كما ذكرنا بعض الأمثلة.

✍وقد ردَّ عليهم ردًّا جيدًا عدد من أهلِ العلمِ الذين بحثوا هٰذَا الأمر بحثًا متعمِّقًا، ومن أمثلهم في ذلك: الأستاذ القدير/ فؤاد سيزكين في كتابه [تاريخ التراث العربي] الذي طبعته مترجما جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود في عشرة أجزاء، طبعت أكثر أجزائه في عشر مجلدات، فقد خصَّص الجزء اَلْأَوَّل من المجلَّد الْثَّالِث في الفقه ردًّا عَلَىٰ هٰذِه الفرية، ودوَّن وكتبَ المراجع الأصيلة التي أثبتت التدوين المبكر للفقه الإسلامي في عهد النَّبِيّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، في عهد الصحابة والتابعين، وذكر المراجع سواء كانت من نقولٍ مبكرة من الكتب أو من المخطوطات أو من كتب البرامج والمشيخات والأسانيد، وَهٰذَا مهمّ جدًّا، وهو: [تاريخ التراث العربي] في رَدِّ كلامهم.

✍وكتب أيضًا الأستاذ الدكتور/ مُحَمَّد مصطفى الأعظمي كتابين في ذلك، أَحَدُهُمَا [دراسات في الحديث النبوي] وقد استغرق نحوا من خمسين صفحة في إثباته أنَّ الصحابة رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمِ، وكبار التابعين دوّنوا صحفًا كثيرة موجودة ونُقلت بالأسانيد مستقلة، ولم يكن نقل العلم سواء في الحديث أو الفقه كان عن طريق الحفظ، وإنما جمعوا ما بين الحفظ وما بين التدوين الكتابي، وَهٰذَا كان كثيرًا في ذلك الوقت، وكتب نحو من خمسين صفحة فيها أكثر من مائة من أهل العلم دوَّنوا الفقه والسنن الفقهية عن النَّبِيّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعن الخلفاء في هٰذَا الموضوع.

⮊وكذلك هناك عدد من الاجتهادات في كتبٍ مماثلة مِمَّا يؤكد لك أنَّ النظرية الأوربية التي ابتدأت في أوائل القرن العشرين التي تقول: إنَّ كتاب من المستشرقين الذين ظلموا كعادتهم الإسلام وعلوم الإسلام، إنَّ كتابة التدوين الفقهي كانت متأخرة بعد نحو سنة مائة وعشرين، كان هٰذَا خطأً فادحًا، وأنَّ كل المراجع والأسانيد تثبت وجود صحف كثيرة وكتب في ذلك، لكن لم تكن عَلَىٰ هيئة التصنيف؛ لأنَّ هناك أسبابا كثيرة ذكرت لكم بعضًا منها، انشغال علماء الأُمَّة بتعليم الناس، بالفتوحات، بترسيخ الإسلام، لم يكن الورق موجودًا والأحبار كانت قليلة، والحضارة كانت عَلَىٰ نوعٍ ما، ومع ذلك كان أصل التدوين موجودًا بهذا الحجم الكبير.

بعد زمن التابعين معلومٌ أنَّ الفتوى في زمن التابعين كثرت جدًّا والناس يُسألون ويدونون، قَالَ ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في [إعلام الموقعين] في بعض كلامه قَالَ: "**كان يُروى**" -أو كما قَالَ- "**عن ابن شهابٍ الزهري ثلاث كراريس في الفتاوى، وكذلك عن الحسن البصري سبع كراريس في الفتاوى**" وَهٰذَا يدل عَلَىٰ أنَّ كبار وأواسط التابعين كان يُكتب عنهم العلم ويدوَّن في وقت مبكر الفتاوى الفقهيَّة التي هي جزء من الفقه، ويُبنى عليها الفقه فيما بعد، حركة التابعين في الأجوبة عن المسائل كانت كثيرة في الأمصار، سواء كانت في مكة والمدينة أو كانت في البصرة والكوفة، أو كانت في الشام ومصر، أو في غيرها، كانت حركة الأسئلة والنشاط العلمي في السؤال والجواب ونحو ذلك كان كثيرًا؛ لذلك نشط العلماء في تدوين أقوال الأئمة من الصحابة والتابعين وتابع التابعين في المسائل الفقهية.

وَهٰذِه مرحلة أتت بعد سنة مائة وعشرين للهجرة في أنَّ الكتاب الفقهي صار يُجمع فيه أقوال الصحابة، أقوال التابعين مع أقوال النَّبِيّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في مسائل العلم المختلفة، وكان ممن بكَّر في ذلك مالك بن أنس الأصبحي الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ المتوفى سنة تسعٍ وسبعين ومائة في كتابه [الموطَّأ] والإمام عبد الله بن وهب في كتابه [الجامع].

ثُمَّ جاء كبار أهل العلم الذين جمعوا فكتبوا الكتب الطويلة في جمعِ فقهِ التابعين، وفقه تبع التابعين، إضافةً إِلَىٰ فقه الصحابة وأحاديث النَّبِيّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فجاءت المصنفات الكبار، كـ[مُصنَّف] أبي بكر ابن أبي شيبة، و[مُصنَّف] عبد الرزَّاق، الإمام عبد الرزَّاق بن همَّام رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، و[سنن] سعيد بن منصور ونحو ذلك، مِمَّا كان أرضيةً كبيرةً للتصنيف الفقهي، وللأحكام الفقهية والاجتهاد الفقهي في ذلك الزمن، وكان هٰذَا التدوين لـما كان يهتم به جُلُّ الأُمَّة في ذلك الوقت قبل أن تترسَّخ المذاهب الأربعة الفقهيَّة، فكان ترسيخ المذاهب الأربعة الفقهيَّة في زمن مقاربٍ لذلك وبعد ذلك، لكن قدَّمت ذلك؛ لأنَّها هي الحركة الشاملة، كان في كل بلد، في مكة والمدينة والأمصار جميعًا، هناك كتابة لفقه الصحابة، فقه التابعين، فقه تابع التابعين، فتجد فيها هٰذِه الأقوال التي منها

استقى الأئمة فقههم بما نُقل لهم من ذلك، أو سمعوه أو قرأوه في الصحف المنقولة عن ذلك، ثُمَّ دوَّنها هؤلاء الأئمة في كتبهم.

⇦فإذن الكتب المُصَنَّفة الكبيرة التي خدمت الفقه الإسلامي هي كتب أهل الحديث الكبار، والتي ذكرنا بعضًا منها [موطَّأ] الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، و[جامع] الإمام عبد الله بن وهب، و[مُصَنَّف] عبد الرزَّاق، و[مصنَّف] ابن أبي شيبة، و[سنن] سعيد بن منصور، فكانت هٰذِه نواة كبيرة في ذلك الوقت المبكر.

☜ هٰذِه الأقوال نسج عَلَىٰ منوالها، يعني هٰذَا النوع من التصنيف، تصنيف المُصنَّفات كتابة الفقه -التصنيف في الفقه- عن طريقِ كتابة أقوال الصحابة والتابعين وتابع التابعين في المسائل الفقهية وخلاف في ذلك، نشط له في ترتيبه وجمعه عالمان فاضلان جليلان:

❶أَمَّا اَلْأَوَّل: فهو الأثرَم صاحب الإمام أحمد، وكتب كتابه [السنن]، ولكنَّه لم يُنقل منه إلينا إلا القليل.

❷وَالآخَر -وهو الموجود عندنا أكثره-: وهو كتب الإمام مُحَمَّد بن إبراهيم بن المنذر الذي خدم الإسلام خدمةً طولى بكتابة كتبه، وخاصَّةً كتاب [الأوسط في الإجماع والسنن والاختلاف].

☜وَهٰذَا الكتاب -كتاب [الأوسط]- كان فيه جمع للفقه بأنواعه من حيث الدليل، من حيث الشرح فهو كأنَّه شرح المصنَّفات ونقل أقوال التابعين بإسنادها، وأضافَ إليها أقوال الأئمة، نعم كانت عليه مؤاخذة من بعض أهل العلم: أنه كان ينسب إِلَىٰ الإمام مالك أو ينسب إِلَىٰ الإمام الشافعي، أو ينسب إِلَىٰ الإمام أبي حنيفة، أو نحوهم ما لا يوجد في كتبهم، لكنه هو مؤتمن عَلَىٰنقله عَلَىٰ نحو ما نُقل إليه، رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، وهو إمامٌ حُجَّةٌ ثبت، أجمع العلماء عَلَىٰ الثناءِ عليه، مُحَمَّد بن إبراهيم بن المنذر صاحب الكتب المعروفة [الإجماع] و[الخلاف] و[الأوسط] ونحو ذلك، [الأوسط] مطبوع حديثًا، وهو كتابٌ كبير لكن يُفتقد منه المجلدة الثانية من الأصل المخطوط التركي الذي يشتمل عَلَىٰ بعض أبواب الصلاة وَالزَّكَاة والصيام أو الصيام وَالزَّكَاة فيما أتذكر.

تبعَ عَلَىٰ هٰذَا النحو في نقل فتاوى العلماء والترجيح بينها تبعهم الإمام ابن عبد البر الأندلسي الإمام الحافظ الثقة الذي يسَّر للناس علوم السلف في كتابيه الكبيرين العظيمين في شرح [الموطَّأ]: [الاستذكار لمذاهب علماء الأمصار] و[التمهيد لما في الموطَّأ من المعاني والأشياخ والمسانيد]، وكذلك ابن حزم في كتابه [المُحلَّى] فإنَّ هٰذِه الكتب عَلَىٰ نحو المصنفات، وأنا ذكرتها مع أنها متأخرة في هٰذَا الموطن؛ لأنَّها كالفروع لـ[مصنَّف] ابن أبي شيبة و[مصنَّف] عبد الرزَّاق، و[سنن] سعيد، هٰذِه بمجموعها تعطيك نوع كبير من التصنيف الفقهي المبكِّر من كتب الفقه، وهي كتب الفقه الخلاف المبكِّر، خلاف الصحابة والتابعين وتابع التابعين في المسائل، وبعض خلاف الأئمة المتبوعين.

وَهٰذِه الكتب مهمَّة جدًّا في دارسة تاريخ الفقه؛ لأنَّ كتب الفقهِ في القرون الثَّلاثة الأولى أخذت بعد سنة مائة وعشرين منحيين:

❶ **الْأَوَّلُ**: كتب المذاهب والأئمة المتبوعين رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَىٰ.

❷ **وَالآخَر**: كتب تدوين ما كان عليه الصحابة والتابعون وتابع التابعين من الفقه والفتوى في مسائل الفقه.

التدوين الفقهي من عهد النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والصحابة والتابعين إلى نحو سنة: ١٢٠هـ.

في حديث يصعب -مهما استعجلنا في الحديث صعب- أنْ نأخذ من القرن الْأَوَّل إِلَىٰ وقتنا الحاضر؛ ولذلك اخترت أنا كمقدمة وللتبسيط ولفتح الباب، اخترت أن يكون كلامنا إِلَىٰ نحو سنة أربعمائة هجرية، أو بالأحرى سنة ثلاثمائة وستين للهجرة، باستثناء ما ذكرنا من كتب ابن عبد البر وابن حزم؛ لأنهما كانا في الأندلس في القرن الخَامِس الهجري، وكانا صاحبين متآخيين زميلين.

سنة مائة وعشرين للهجرة -كما ذكرنا- ممكن أن نقسم التدوين الفقهي وكتابة الفقه، الناس اختلفوا في التقسيم، وكل أحد يُقسِّم بحسب ما يراه وما يصل إليه ببحثه، أميل إِلَىٰ تقسيمها إِلَىٰ ثلاث مراحل:

❶ **المرحلة الأولى**: من عهد النَّبِيّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَىٰ سنة مائة وعشرين، وقد قدمت لك ذلك.

❷ ثُمَّ تدوين المذاهب، كتب المذاهب الأصليَّة عن الأئمة، وهي من سنة مائة وعشرين للهجرة؛ لأنَّها بدايات ظهور الإمام مالك وأبو حنيفة رَحِمَهُمَاٱللَّهُ تَعَالَىٰ، من مائة وعشرين إِلَىٰ وفاة الإمام أحمد سنة مائتين وأربعين، وهي مائة وعشرون عامًا.

❸ ثُمَّ من مائة وعشرين إِلَىٰ ثلاثمائة وستين هجرية لأنها آخر ظهور المختصرات في الفقه، التي سيأتي الكلام عليها إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ.

✍ التدوين الفقهي في مرحلة الأئمة أرباب المذاهب.

المدارس الفقهية في أمصار الإسلام مكة، المدينة، البصرة، الكوفة، ثُمَّ بغداد، الشام، مصر؛ هٰذِه أمصار الإسلام، كل هٰذِه الأمصار فيها حركة، حركة علم وتدريس، وحركة فقه وسؤال وجواب، فَلَا بُدَّ أن يكون في كل مكان عالم يفتي ويكون له تلامذة، لكن لم يشتهر بالأتباع واستمرار الأتباع إلا قلَّة من علماء الأمصار، نذكر منهم الأئمة الأربعة:

الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطا رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، ثُمَّ بعده الإمام مالك بن أنس الأصبحي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، ثُمَّ بعده الإمام مُحَمَّد بن إدريس الشافعي المُطَّلبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، ثُمَّ بعده الإمام أبو عبد الله أحمد بن مُحَمَّد بن حنبل، المتوفى سنة أربعين ومائتين، رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، وفي باقي الأمصار هناك مذاهب مختلفة، ففي المدينة كان هناك مذهب الربيع، ربيعة الرأي، وفي مصر كان هناك مذهب الليث بن سعد، وفي الشام مذهب الأوزاعي، وهناك مذهب الثوري سفيان الثوري، وابن أبي ليلى، ومذاهب لعلماء مختلفين كثر، ولكن هٰذِه المذاهب لم يكن لها أصحابٌ ينصرونها، ويدونون فقه علمائهم، فكانت قوتها بقوة علماء في وقتهم، ولم يبقَ إلا هٰذِه المذاهب الأربعة المتبوعة بهؤلاء الأئمة الأربعة.

✍ مذهب الإمام أبي حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

فكان في الكوفة كما هو معلوم، وكان بزَّازًا، كان يبيع في السوق وكان صلبًا قويًّا في الحق، ذا بصيرةٍ وذكاء، وكان يحضر دروس أهل العلم، وكان يهتم بالأمور العقلية والرأي، وأخذ الكثير من الأحاديث ثُمَّ عارض أشياخه في مسائل فنهروه، وربما طردوه حتى هو كفَّ وحضر عندهم بصمت

إِلَىٰ أن توفي حمَّاد ونحوه، ثُمَّ هو تصدَّر للتدريس واشتهر، الإمام أبو حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ كان في الكوفة منشئًا لأصولِ مدرسة الرأي.

ما معنى مدرسة الرأي؟

مدرسة الرأي موجودة قبله في المدينة، وموجودة في الكوفة، ولكن لم تكن مؤصَّلة، هو أصَّلها، أصَّلها بمعنى: أنَّه ينظر في القرآن، وينظر في السُّنَّةِ بحسب ما وصلَ إليه، ثُمَّ يقيس الأمور عَلَىٰ حسب فهمه في مقتضيات القياس، وإلحاق الفرع بالأصل، ونحو ذلك، فكان قويًّا في المجادلة وقويًّا في النقاش، ومن عنده قوَّة ومحبة لهذا النحو من التعلُّم في القوة العقلية مال إليه، ومِمَّن مالَ إليه عَلَىٰ هٰذَا النحو من التفكير عالمان جليلان هما: أبو يوسف يعقوب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، والإمام مُحَمَّد بن الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، وأبو حنيفة لم يدوِّن شيئًا من كتبه مع أنه نُسب إليه أشياء، لكن لا تصح، وإنما هي من كتابات أبي يوسف ومحمد بن الحسن.

أبو يوسف أيضًا انشغل بالقضاء وانشغل بالولايات، وكانت كتاباته قليلة، فلم تكن مؤثِّرة في هٰذَا المذهب في كتب الفقه الحنفي، وإنما الذي أثَّر في كتب الفقه الحنفي في مسارهم: الإمام مُحَمَّد بن الحسن الشيباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، مُحَمَّد بن الحسن كان صاحب كتابة، يحسن الكتابة ويحسن الجدال، وحفظة يحفظ وينقل؛ ولذلك كتب ستة كتب هي: [العمدة] والتي قام عليها سوق السادة الحنفية في الفقه، وتُسمى عندهم [كتب ظاهر الرواية]، كتبها في وقتٍ مبكر، وأكثرها مطبوع موجود، وعليها المعتمد عندهم.

أبو حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ إذا أردت أن تقيِّم الكتب الفقهية في المذهب؛ فإنَّه لا وجود له في الكتب الفقهية في المذهب إلا القليل فيما نقل عنه مُحَمَّد بن الحسن أو نقل عنه أبو يوسف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، وإنما الكلام كله في كتب مُحَمَّد بن الحسن بخاصَّة؛ ولذلك يصحُّ أن تقول: إنَّ مذهب أبي حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ معتمد اعتمادًا كليًّا عَلَىٰ أبي يوسف، واعتمادًا كليًّا عَلَىٰ مُحَمَّد بن الحسن.

أمَّا اعتماده عَلَىٰ أبي يوسف؛ فإنَّه اعتماد انتشار، فإنَّ أبا يوسف كان مقرَّبًا عند الوالي، يعني: عند أمير المؤمنين، أبو حنيفة طُلب للقضاء فرفض، وكان ينظر نظرًا ليس جيدًا للولاية العباسيَّة، فطُلب للقضاء فرفض؛ فسُجِنفمات في السجن كما هو معلوم سنة خمسين ومائة للهجرة.

❁أبو يوسف قُرِّب وصار المسؤول عن تولية القضاة؛ ولذلك أبو يوسف نشر المذهب الحنفي من جهةِ أنَّه لم يولِّ قاضيًا إلا من تلامذة أبي حنيفة أو تلامذته، فانتشر المذهب الحنفي في العالم الإسلامي من تونس إِلَىٰ آخر خراسان مرورًا بمصر والشام والعراق ونحوها لأجلِ أنَّ الدولة كانت مع أبي يوسف، وكان هو الذي يولِّي، ورُغِّب فيه؛ فحظيت كتب مُحَمَّد بن الحسن المصنفة الكتب الستة المشهورة حظيت بهذا الإقبال الشديد والتفصيل عليها، ثُمَّ اشتغلت الردود بين الحنفية وبين العلماء الآخرين، فصار هناك تدوين فقهي لكتب فقهية مبكرة قويَّة، مثل: [الرَّدّ عَلَىٰ سير الأوزاعي] لأبي يوسف، مثل: [الخلاف بين أبي حنيفة بين أبي ليلى] ونحو ذلك من الكتب لأهل العلم في هٰذَا الصدد.

❁لمَّا كتب مُحَمَّد بن الحسن كتبه هٰذِه اشتغل الناس بها اشتغالًا كبيرًا، ولأجل اختصار الوقت ثُمَّ صارت هناك أسئلة كثيرة لأهل العلم بين طريقة مُحَمَّد بن الحسن والعلماء الآخرين، فصار هناك ثروة فقهية تُسمَّى "**ثروة الخلاف ما بين العلماء ومذهب أبي حنيفة**" وكما هو معلوم أنَّ أهل الحديث لم يكونوا عَلَىٰ وفاق مع مذهب أبي حنيفة؛ لأنَّه كان قليل النظر كما يقولون، كانوا قليلي النظر في السنن ويعملون القياس في مقابلةِ حديث الآحاد ونحو ذلك.

❁القرن الْثَّانِي للهجرة عظُم المذهب الحنفي وانتشر بقوة، وعظمت كتبه التي هي كالشروح لكتب ظاهر الرواية لمحمد بن الحسن حتى وصلنا إِلَىٰ القرن الْثَّالِث الهجري، ووجدنا فيه أنَّ أحد العلماء، وهو: الحاكم الشهيد كتب كتابًا جمع فيه كتب مُحَمَّد بن الحسن ورتبها وأجوبة أبي حنيفة والمسائل المختلفة وأجوبة أبي يوسف ورتبها في كتابٍ سمَّاه [الكافي] في أوائل القرن الرَّابع الهجري في نحو ثلاثمائة وشيء، وَهٰذَا[الكافي] لخَّص فيه كل ما سبق من كتب ظاهر الرواية والأجوبة المختلفة، وبوَّبه تبويبًا حسنًا، منه انطلق تدوين الكتب الفقهية الحنفية إِلَىٰ وقتنا الحاضر، هٰذَا الكتاب شرحه العالم الجليل السرخسي في كتابه [المبسوط] في ثلاثين مجلدًا، شرحه إملاءً كان في البئر في فرغانة، وكان في البئر محبوسًا، وجاءه -كما قَالَ- عددٌ من تلاميذه أرادوا أن يروحوا عنه، مثلما نقول: يوسِّعون صدره، وقالوا: تشرح لنا كتاب [الكافي] للحاكم الشهيد، فشرحه في ثلاثين مجلدًا من غير مرجعٍ ولا

كتاب، فكان من أجود الكتب التي أسَّست لمذهب الحنفية وكما تعلمون السرخسي في القرن الخَامِس الهجري.

المذهب الثَّانِي: مذهب الإمام مالك بن أنس:

❀الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ إمامٌ جليل حافظ لا يكاد يفوته شيء مِمَّا يسمع، وكان يكتب العلم، وحضر عند شيخه ربيعة الرأي، وسمع من التابعين -كبار التابعين- ودوَّن ذلك بحسب طلب الوالي، أو حسب طلب أمير المؤمنين في وقته، دوَّن ذلك في كتاب، هٰذَا الكتاب عظيم الأثر في الأمَّة، ألا وهو [الموطَّأ] يعني المُمَهِّد أو المُمَهَّد للإمام مالك.

❀ [الموطَّأ] كتاب حديث، لكنه كتاب فقه، لماذا كتاب فقه وهو أساس لكتب السادة المالكيَّة في الفقه؟ لأنَّه يأتي للباب ويجعل حديث النَّبِيّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ثُمَّ بعده يأتي بأقوال الصحابة، الخلفاء الراشدين وكبار الصحابة، ثُمَّ أقوال كبار فقهاء المدينة، ثُمَّ التابعين ويجعلها في تسلسل في ذلك، هٰذَا عُدَّ كتاب فقه، ثُمَّ يدوِّن رأيه الفقهي بعد ذلك؛ ولذلك [الموطَّأ] هو فيه أحاديث كثيرة، ولكنه في الحقيقة هو كتابٌ في فقه الحديث، اعتمد فيه في فهم الأحاديث عَلَىٰ ما نقل من كلام الصحابة والتابعين، ثُمَّ ما علَّق به عَلَىٰ ذلك؛ فـ[الموطَّأ] يعتبر أول كتب السادة المالكية تقديمًا في الفقه عندهم.

❀الإمام مالك كان يُسأل فيفتي، ويجلس في الدرس فيُسأل، ويدوَّن عنه مسائل كثيرة، ولقيه أمم من الناس نقلوا عنه العلم، ولكن نخص بالذِّكرِ أحد العلماء الكبار الأجلَّاء الحُفَّاظ الذين نقلوا علم مالك بن أنس، وهو: الإمام الجليل عبد الرحمن بن القاسم فيما جمعه من أسئلة مالك، وجمع أسئلة مالك، وكتبها عنده غير مرتبة، فلقيه أحد علماء تونس، وهو: أسد بن الفرات، في رحلته إليه يسأله عن مذهب مالك، وأسئلة مالك فنقلها فكتب عنه هٰذِه المسائل التي تُعرف باسم [مسائل عبدالرحمن بن القاسم لمالك] للإمام مالك بن أنس، ثُمَّ ذهب بها إِلَىٰ بلده، ثُمَّ لقيه هناك الإمام الجليل سحنون، سحنون لقب له في علم جليل سمع منه، فلم يرق له ما كتب أسد بن الفرات، وكانت تلك النسخة تُسمى عند علماء المالكية [الأسدية] نسبةً إِلَىٰ أسد بن الفرات، فأخذ عنه فلم تَرْق له، فكتبها عنه ثُمَّ رحلَ إِلَىٰ عبد الرحمن بن القاسم فسمع منه، عرض عليه المسائل، ثُمَّ عنه المسائل كاملة، ثُمَّ

رتَّبها وعرضها عَلَىٰ عبد الرحمن بن القاسم، وسُمِّيت بـ[مدوَّنة مالك] أو [مدوَّنة سحنون]، وهي المعروفة الآن عندنا باسم [المدوَّنة].

❀ هٰذِه [المدوَّنة] هي صنيعة سحنون، عن عبد الرحمن بن القاسم، وكانت عملًا جليلًا جدًّا لأنَّه رتبها بحسب ترتيب مالك في [الموطَّأ] تقريبًا، ونقل فيها مذهب مالك والأسئلة، ومذهب عبدالرحمن بن القاسم والأسئلة، وما يكون بمثل ذلك من المسائل المختلفة.

❀ رجع إِلَىٰ تونس، فأراد أن يقابل ما بين ما كتب وما بين عند أسد بن الفرات في أسئلته أو فيما نقل من ابن القاسم، فصارت بينه وبين أسد نوع خصومة، فلم يعرضها عليه، فذهبت الأسدية -كما يقولون- وبقيت [المدوَّنة] لسحنون، [المدوَّنة] لسحنون هي عمدة تدوين الفقهِ في تصنيف الفقه للسادَّة المالكيَّة إِلَىٰ يومنا الحاضر، وكلُّ ما بعده عيالٌ عليه، المالكيَّة يقولون: مذهبهم يقوم عَلَىٰ خمسة كتب:

١) عَلَىٰ [موطَّأ] مالك بن أنس، [الموطَّأ] وما فيه من العلم والفقه.

٢) ثُمَّ [المدوَّنة] لسحنون.

٣) ثُمَّ [الواضحة] لابن حبيب.

٤) ثُمَّ [المستخرجة] أو [العتبية] للعتبي.

٥) ثُمَّ [الموازيَّة] لابن موَّاز الإسكندراني مُحَمَّد بن إبراهيم الإمام المعروف.

❀ [الموزيَّة] غير موجودة، منها أجزاء قليلة، وكان العلماء في المغرب والأندلس يعظمونها جدًّا، لماذا؟ لأنَّها رتبت الفقه كمختصر، وهي أوَّل مختصرٍ يوجد منها قطعة في تونس، وقطعة في المغرب، إن كان تذكري سليمًا، وَهٰذِه امتدحها عدد من أهل العلم بأنَّها القمة في تلخيص مذهب مالك، ولكنَّها لم تلقَ حظًّا وتُتداول بعد ذلك، هٰذِه الكتب هي التصنيف المبكر لمذهب مالك إِلَىٰ تقريبًا سنة ثلاثمائة للهجرة أو بعدها بقليل.

❀ لم يُكتب للمذهب المالكي مختصر يُعتمد، حاول الحافظ الجليل ابن عبد البر أن يكتب في مذهب مالك مختصرًا، فكتب كتاب [الكافي] المطبوع، الكافي في فقه أهل المدينة في المالكي، وهو

مطبوع في مجلدين معروف، ولكن لم يكن الاعتماد عليه، توالت شروح المالكية بنحوٍ ما، سيأتي الإشارة إليها.

✍ مذهب الإمام مُحَمَّد بن إدريس الشافعي:

❃ فلم يُهب عمرًا طويلًا، ووُلِد في السنةِ التي توفي فيها الإمام أبو حنيفة سنة مائة وخمسين، وتوفي سنة أربعٍ ومائتين للهجرة، عاش أربعًا وخمسين سنة بين مكة واليمن والمدينة، ودخل اليمن مرةً واحدة، والمدينة عدة مرات، وبغداد ثلاث مرات، ومصر توفي فيها، وقبل ذلك سكنها، قبل ذلك يتردد عليها.

❃ مُحَمَّد بن إدريس الشافعي كان الحُجَّة في اللُّغة، من صِغره خالط الأعراب، وكما هو معلوم عند أهل اللغة فإنَّ الاحتجاج بأقوال الشعراء والناثرين بلغة العرب الفصيحة حدُّه إِلَىٰ سنة مائة وخمسين للهجرة التي هي سنة ولادة الشافعي، ويقولون: آخر الشعراء الذين يُحتج بشعرهم هو إبراهيم بن هرمة، وديوانه مطبوع معروف، لكنَّ الشافعي لم يختلط بالناس الذين اختلطوا بالعجم الذين أسلموا، وإنما ذهب للأعراب في البراري فأخذ لغةً صحيحة، نعم وُلد سنة مائة وخمسين وعاش إِلَىٰ مائتين وأربعة، ولكن أجمع أهل العلم باللغة وبالفقه والعلم: أنَّ لغة الشافعي حجَّة.

⟵ لماذا أذكر اللغة في هٰذَا المضمار؟

✍ لأنَّ فهم الشريعة أساسه فهم اللغة، فهم القرآن أساسه فهم اللغة، فهم السُّنَّة أساسه فهم اللغة، وإذا عرفت اللغة في مفرداتها وفي تراكيبها وما أدَّى إليه اجتهاد العرب في سنن كلامها؛ فإنَّك تعلم حينئذٍ معاني الكتاب وَالسُّنَّة؛ لذلك انتهى من لغة العرب مبكرًا، وحفظ [الموطَّأ] أتاه [الموطَّأ] وهو في مكة، وحفظه وهو صغير، ثُمَّ ذهب قبل أن يلقى الإمام مالك، ثُمَّ ذهب لمالك، فاختبره مالك؛ فَقَالَ: أقرأ عليك [الموطَّأ] فأراد أن يقرأه من حفظه، فَقَالَ: أقرؤه من ... واختبرني، فقرأه حفظًا فتعجَّب مالك من حفظه لموطّئه، فقرَّبه وأدناه، وصارت عنده المنزلة العظيمة له؛ لذلك مالك شيخ الشافعي، ثُمَّ الشافعي شيخ الإمام أحمد، والثلاثة هؤلاء مدرستهم واحدة في الجمع ما بين الفقه والحديث وَالسُّنَّة والفقه وأصولهم متقاربة كأصول فقه وقواعد فقهية وإلى آخره.

✿ مُحَمَّد بن إدريس الشافعي كان قويًّا صاحب تطلُّع للمعرفة وللعلم، فأكثر الترحال، ذهب إِلَىٰ اليمن ولقي الأئمة هناك والعلماء، وأخذ العلم، ثُمَّ رجع لمكة، ذهب للمدينة، وذهب إِلَىٰ بغداد؛ لذلك يُقال في أقوال الشافعي: إنَّ أقواله في العراق أقوال قديمة، ويظن البعض أنه أتى العراق مرَّة واحدة ومكث فيها سنتين عَلَىٰ الصحيح، كما حرَّره العلَّامة أحمد شاكر في مقدمة كتاب [الرسالة] تحقيقه لكتاب [الرسالة] إنه أتى بغداد ثلاث مرات في عمره، وكانت آخر مرة عدة أشهر في سنة مائة وتسعة وتسعين هجرية، ثُمَّ رجع بعدها مصر وبقي في مصر إِلَىٰ أن توفي خمس سنين من مائة وتسعة وتسعين هجرية إِلَىٰ مائتين وأربعة.

✿الإمام الشافعي له أصحاب كُثُر، وتأثَّر به الكثير؛ لأنَّه جمع بين الفقهِ والحفظِ ومعرفة اللغةِ، أتى الإمام أحمد بن حنبل الحافظ الإمام الثبت واسع الحفظ، أتى مكة وطلب لقاء مُحَمَّد بن إدريس الشافعي، فأتاه، وكان مُحَمَّد بن إدريس صغيرًا أو أسانيده ليست بالعالية، يعني هناك من هو أكبر منه، فقيل لأحمد: إنَّ سفيان هناك، يعني: يريدونه أن يترك الشافعي، فَقَالَ كلمة هي سُنَّة آتي بها هنا أنتقي لكم بعض الأشياء، سُنَّة لأهل العلم، قَالَ: "**يفوتني حديث سفيان، ولكن كيف يفوتني عقل الشافعي؟ لم أرَ رجلًا أعقل من مُحَمَّد بن إدريس الشافعي**" يقوله الإمام أحمد بن حنبل، والعقل هنا المراد منه: العقل المطبوع الذي يعين عَلَىٰ فهم الكتاب وَالسُّنَّة، ليس هو عقل المتكلمين والفلاسفة الذي يُضاد الشرع، ولكن العقل الصحيح المفيد النافع، ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ﴾[الفرقان: ٤٤]، العقل المفيد هوالذي تفهم به ما أنزل الله جَلَّوَعَلَا، الصلة التي بينك وبين الله بما أنزل من كتابٍ وسنَّة.

✿الشافعي كان له أصحاب في مكة، أصحاب في المدينة، أصحاب في بغداد، ثُمَّ في مصر كُثر، وكانت له المسائل الكثيرة، أصحابه تركوا قوله -كما يسمون- القديم فيما دونوه عنه في فقهه في العراق، ولكن دُوِّن عنه أجوبة مختلفة له في مصر، فأحسَّ الشافعي بكثرة ما دوِّن عنه، فأراد أن يجمع ذلك لطلَّابه ولمن ينقل بعده، وكان عنده مجموعة خيِّرة من الحفَّاظ المتمكنين، وكان من أميزهم:

الربيع بن سليمان المرادي، والبويطي، وجماعات، الربيع بن سليمان نقل له وروَّاه الشافعي كتبه، مثل كتاب [الرسالة]، و[اختلاف الحديث]، ونحو ذلك من الكتب.

وَأَمَّا البويطي فإنَّه نقل عن الشافعي كلامه في الفقه مرتَّبًا، وهو ما سُمِّيَ فيما بعد بـ[الأُمّ]، [الأُمّ] هو صنعة البويطي، ما بين كتابة وإملاء للشافعي، مرتَّب ترتيبا جيِّدا، بعضه أكيد من كتابة الشافعي، وبعضه من سماعِ البويطي، فكان كتاب [الأُمّ]هٰذَا أول كتاب مُصنَّف مبوَّب لأحدِ الأئمة الأربعة في كتب الفقه، من أين أتى بتصنيفه عَلَىٰ هٰذَا النحو؟ بدأ بأركان الإسلام، ثُمَّ الجهاد، ثُمَّ إِلَىٰ آخره، أخذه من طريقةِ مالك بن أنس في [الموطَّأ] مع تحديث عليها، مع اجتهادٍ وتحديثٍ عليها.

✿بعد وفاة الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ وأجزل له المثوبة وجزاه عنَّا خير الجزاء صار عنده في تراثه أو في كتبه التي خلَّفها ثلاث أنواع، كانت هي عمدة السادة الشافعيَّة فيما صنَّفوا وفيما كتبوا:

اَلْأَوَّلُ -كما ذكرت لكم-: [الأُمّ]، وهو من صنعة البويطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ.

والكتب المختلفة [الرسالة] في أصول الفقه، و[اختلاف الحديث] وغيرها مِمَّا هو موجود، الربيع بن سليمان.

ثُمَّ المُزَنِيّ صاحب الشافعي، المُزَنِي له فضلٌ كبير كتب أوَّل مختصر ممنهج في تاريخ الكتاب الفقهي، في كتابٍ سمَّاه [المُختصَر]، وعُرِفَ عند أهل العلمِ والشافعية بـ[مُختصَر المُزَنِيّ]وَهٰذَا صار هو العمدة عندهم فيما بعد.

✿الشافعية اعتمدوا عَلَىٰ ذلك، ثُمَّ مشى التصنيف الشافعي بنحو اختصار وشروح، واختصارات وشروح إِلَىٰ أنْ أتى القرن الخَامِس الهجري، أواخر القرن الخَامِس، ثُمَّ بدأت نوع آخر من المؤلفات، تأتي الإشارة إليها.

من الكتب المهمة -نسيت أذكرها في اَلْأَوَّلِ- للشافعيّة في الكتب الخلافيَّة المهمة خلاف التابعين ومن بعدهم: كتب البيهقي، الإمام الحافظ البيهقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، صاحب [السنن الكبرى] كما هو معروف، كتابه المهم في ذلك: [معرفة السنن والآثار] وَهٰذِه كلها كتب مطبوعة، [معرفة السنن

والآثار] فيه الكلام الكثير عن المذاهب، الخلاف بين الأئمة وخلاف التابعين وأقوال التابعين والصحابة في المسائل.

✍ مذهب الإمام أحمد بن حنبل؛ أبو عبد الله أحمد بن حنبل:

❁ فكان يكره الكتابة، ويقول: لا تكتبوا عنِّي، وكان يكره أن يتبعه أحد، وكان إذا خرج من المسجد لا يريد أن يتبعه أحد، يقول: لا تصحبوني، ديانةً وتجرُّدًا، وخوفًا من الأتباع، أبو حنيفة رفض القضاء، فعاقبه الله وسُجن وتوفي في السجن بسبب ذلك؛ خوفًا من الله، لا يريد أن يكون قاضيًا عند العباسيين، وأيضًا لا يكون قاضيًا لخوفه من القضاء، فكتب الله أن تكون الدولة العباسية معتمدة عَلَىٰ القضاة من الحنفيَّة.

❁ الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قَصُر عمره بالنسبة إِلَىٰ غيره، لكن كان هو الاسم الذي ملأ الدنيا، الإمام مالك بن أنس في المدينة لم يرحل، ولم يطلب الناس يأتونه، وانتشر مذهبه في نصف العالم الإسلام، الإمام أحمد لم يكن يرضى أن يجلس إليه جمع كثير من الناس، ولا أن يتبعه أحد، ولا أن يُكتب عنه الفقه، وإنما كان يُسأل، خاصَّة تلامذته، وكانوا كثيرين يسألونه فيجيب، ولم تكن كلها -كما حرَّره شيخ الإسلام ابن تيمية في موضع- أسئلة مباشرة، وإنما كانوا يسألونه عن مسائل العلماء، ففلان يسأله عن مسائل إسحاق، وَالآخَر يسأله عن مسائل الأوزاعي، وَالثَّالِث يسأله عن مسائل أبي حنيفة، وَالرَّابِع يسأله عن مسائل الشافعي، وَالآخَر يسأله عن مسائل مالك، وهكذا، وعن مسائل الليث، فجمعوا أسئلة بالحيلة عن الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، وإنما كتب [المُسند] وكان يحبه، كان يحب كتابين له: كان يحب [المسند] ويحب [التفسير].

⬅ و[المسند] قَالَ لابنه عبد الله: **"يا عبد الله احتفظ بهذا [المسند]؛ فإنَّه سيكون للناس إمامًا"**، والمسند ليس فيه شيء من كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، وإنما كلها أحاديث عن النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

⬅ و[التفسير] هو تفسير الصحابة والتابعين للقرآنِ كاملًا، وفسَّر القرآن كاملًا، ولكن لا يوجد منه شيء الآن، ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ نقل عنه أشياء في [بدائع الفوائد] نقلا كثيرا، يعني صفحات، ونقل عنه غيره كذلك، وهو معروف عنه.

❁ أصحابه كثير جدًّا، تفرَّق علمه في أصحابه وكانوا أكثر من ستين، الذين سجلوا ودوّنوا مسائل الفقه، فأتى أحد تلامذته الأجِّلاء، يعني: تلامذته في العلم الأجِّلاء الحُفَّاظ الثقات الذين لهم المنَّة علينا بحفظِ علوم الإمام أحمد، وهو الحافظ الإمام أبو بكر الخلّال في كتابه [الجامع]، [الجامع] للخلَّال جمع كل ما رُوي عن الإمام أحمد، ورحل لكل بلد يُذكر فيها صاحب للإمام أحمد رحل إليه واستمع إليه، وأخذ ودوَّن عنه وبوَّبها، فكان الناس عيال، الحنابلة عيال -يعني: أبناء روحيين أو أبناء قلبيين- للخلَّال في ما جمعه عن الإمام أحمد، الإمام أبو بكر الخلّال كتب [الجامع] وكان له غلام يصاحبه يُقال له: غلام الخلَّال، اسمه عبد العزيز، حافظٌ ثقة فقيه، جمع ذلك وكتب مختصرًا، هٰذَا المختصر كان مهمًّا جدًّا عند الحنابلة في أوائل القرن الرَّابع الهجري.

بعد الخلَّال كُتب في تاريخ الحنابلة كتابان مختصرا ن، باسم المختصر:

- أَحَدُهُمَا: مختصر عبد العزيز غلام الخلَّال.
- وَالآَخَر: مختصر الخِرَقي.

أمَّا [مختصر] غلام الخلَّال فذهب ولم يشتهر، و[مختصر] الخرقي بقي إِلَىٰ ما شاء الله، [مختصر] الخرقي، و[مختصر] غلام الخلَّال ذَكَرَ أبو يعلى في [الطبقات] قَالَ: إنَّ غلام الخلَّال قَالَ: خالفني الخِرَقي في ستين مسألة، في مختصره، يعني: أوائل التدوين الفقهي الحنبلي في المختصرين المشهورين [مختصر]غلام الخلَّال و[مختصر] الخِرقي، كان هناك فرق عَلَىٰ أنَّها وجيزة صغيرة، كان هناك فرق يقول ابن الخلال في ستين مسألة، يقول أبو يعلى الحافظ في كتابه [الطبقات] في أوَّل المجلد الْثَّانِي يقول: "**وقد تتبعتُ ذلك فوجدت الخلاف بينهما في ستٍّ وتسعين أو قَالَ: ثمانٍ وتسعين مسألة**" وساقها واحدة واحدة، مِمَّا يمكن أن تُفرد وتكون رسالة، ثمانية وتسعين مسألة، الخلاف المبكِّر في النقل عن مذهب الإمام أحمد، ما بين الخرقي والخلال في مختصريهما، وهو خلافٌ مبكِّر يوحي لك بأسباب كثيرة، لماذا أبو يعلى جمع الروايتين والوجهين، وجمع الخلاف بين الحنابلة؟ ولماذا صار هٰذَا الخلاف والروايات الكثيرة في مذهب الإمام أحمد التي تراها في [الإنصاف] للمرداوي.

☜ إذا وصلنا إِلَيٰهٰذَا الحد -ما نطيل أكثر في هٰذَا الموضوع- هٰذَا لمحة موجزة تعطيك مسح لتاريخ، نصحِّح: التاريخ المبكِّر للكتاب الفقهي، ذكرت لك: أنَّ المذاهب الأربعة الآن هي التي بقيت، المذاهب الأخرى اندثرت، مذهب الليث اندثر، مذهب الأوزاعي اندثر، مذهب ابن جرير الطبري اندثر، مذهب سفيان الثوري اندثر، مذهب داود الظاهري اندثر إِلَىٰ آخره.

❊ لمَّا جاءت الكتب الفقهية فصارت الكتب الفقهية للمذاهب يمكن أن تفهمها عَلَىٰ هٰذَا النحو، الكتب الفقهيَّة هي عَلَىٰ ثلاث محاور:

☚ **المحور الْأَوَّلُ**: هو شرحٌ للمختصرات السابقة، المختصرات المبكرة، شرحٌ لـ[المدوَّنة] عند المالكية، شرحٌ لكتب ظاهر الرواية، كتب مُحَمَّد بن الحسن عند الحنفية، شرحٌ لـ[مختصرالمُزَني] أو لـ[مختصر الأُمّ] عند الشافعية، شرحٌ لـ[مختصر الخِرقي] ونحو ذلك عند الحنابلة. هٰذَا شرح المختصرات مشى إِلَىٰ الآن، وهو إنتاج غزير كبير تعلمونه، لا حاجة للاستطراد فيه.

☚ **النوع الْثَّانِي** -وهو مهم-: كتبٌ ألفها أصحابها استقلالًا، وَهٰذِه كثيرة في المذاهب، وهي مهمة؛ لأنَّها تعطي فهم العالم الراسخ في الفقه للمذهب مستقلًّا.

☚ **والمحور الْثَّالِث**: هي الكتب التي حرَّرت المذاهب، عندنا مثلًا في مذهب إمامنا أبي عبد الله أحمد بن حنبل يقسم الفقهاء كتب المذهب إِلَىٰ ثلاثة، هي:

- كتب متقدمة إِلَىٰ نحو سنة خمسمائة.
- ثُمَّ بعد ذلك كتب المتوسطين إِلَىٰ ابن مفلِح في شرح [المقنِع] أو إِلَىٰ المرداوي.
- ثُمَّ بعد ذلك كتب المتأخرين، كشروح الشيخ منصور وابن النجَّار ونحو ذلك.

عند الشافعية كذلك ما بين شروح ابن حجر والرَّملي، وعند المالكية كذلك ما بين شروح [المدوَّنة] أو شروح [الموضحة]، أو شروح [العتبيَّة].

➢ جاء بعد ذلك المختصرات الأخيرة التي جمعت عند المتأخرين جمعت مذهب المتوسطين والمتقدمين في المذاهب، فجاء [منهاج الطالبين] عند الشافعية، وجاء [مختصر خليل] عند المالكية، وجاء

[كنزالدقائق] للنسفي عند الحنفية، وجاء [زادالمستقنِع] ونحوه عند الحنابلة، ثُمَّ اعتمد عليها إِلَىٰ آخره، وشروحها كثيرة جدًّا.

➢طبعًا كثرة الحراك العلمي في التدوين الفقهي صعب فهمه، لكن أنا أوصي الطلبة بشيء سهل، يمكن أن تبقى في أذهانهم الحركة الفقهية للكتب الفقهية دون إزعاج، وهي: عن طريق التشجير الفقهي، وقد كُتبت كتب ولله الحمد، طُبعت في التشجير، تشجير كتب المذاهب الفقهية، وما من مذهب إلا وقد شُجِّرت كتبهم، لكن هٰذِه الكتب -كتب التشجير- يعني تعطيك، مثلًا [مختصر الخِرقي]بشجرة، كيف شُرح؟ من شرحه؟ اَلْأَوَّلُ، الثَّانِي، الثَّالِث، الرَّابع، حتى تعرف بالتشجير من أخذ عن من، كما سيأتي الخلاصة في البحث.

✍ **التشجير الفقهي مهم، لكن هنا ملاحظة مهمة**: كثير كتبوا في التشجير الفقهي ما بين متخصصين وغير متخصصين، دقيقين وغير دقيقين، يفهمون الفقه ويفهمون الكتب ومن لا يفهمون، لكن الوصيَّة: اجمع تشجير الفقهِ في كل مذهب من علماء مذهبه، يعني: خُذ تشجير كتب الحنابلة من حنبلي، وخذ تشجير فقه الشافعية من شافعي.

كنت في زيارة لتنزانيا وزرنا الإفتاء في دار الفتوى، ووجدت عنده -هم شافعية كما هو معروف- لوحة كبيرة جدًّا، تكون ما بين يعني الجهازين اللذين أمامنا ما بين هؤلاء، يعني طويلة نحو مترين، فيها تشجير كتب الشافعية، من الذي صنعها؟ سألت المفتي: من الذي صنعها؟ قَالَ: صنعها أحد علماء الشافعية.

❃عندنا في المملكة الكثير اجتهدوا في تشجير الكتب الفقهية، لكن فيها الكثير من الغلط، والكثير من عدم عرفة الكتب، والكثير من عدم معرفة اَلْأَوَّل والآخر، والمهم وغير المهم في ذلك، والكامل وغير الكامل، وأشباه ذلك؛ لهذا فحبذا أن يكون هناك اجتهاد من بعض طلبة العلم، ومن أراد لنفسه ولنفع غيره أن يجمع تشجير الكتب الفقهية من القرن الخَامِس الهجري، يعني من سنة أربعمائة فما بعد إِلَىٰ وقتنا الحاضر أن يجمعها من كل أهل مذهبٍ عَلَىٰ حدة، يجمع من الحنابلة تشجير الحنابلة، ومن الشافعية تشجير الشافعية، وهكذا من الحنفية تشجير الحنفية، ومن المالكية تشجير المالكية.

توصيات مهمة

✍ **ختامًا في هذهِ الجولة السريعة أنا أوصي أو توصيات الكلمة:**

❁ **أن يكون هناك عناية** في بحوث رصينة بالتدوين الفقهي المبكِّر في عصر النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والخلفاء الراشدين، التابعين، إِلَىٰ سنة مائة وعشرين، التدوين الفقهي المبكر بتفصيل، اجتهد من ذكرت لك من العلماء، ابن سيزكين والأعظمي، والدكتور امتياز في [دلائل التوثيق المبكر] لِلسُّنَّةِ النَّبَوِيَّة وغيرهم، اجتهدوا في كتابة أشياء، وكان هناك أشياء يعني في اكتشافات حديثة في المخطوطات، فهارس المخطوطات في العالم انتشرت، الآن مع وسائل البحث الجديدة في النت، أسهل أن تجد فهارس من أمريكا إِلَىٰ اندونيسيا، تجد فهارس المخطوطات في الكتب وتقلب وتجد الكثير من الجديد في ذلك؛ لأنَّ آخر بحث في التدوين المبكر كان قبل أربعين سنة، والشبهات التي يلقيها إلينا أو في البحث العلمي أو في دوائر المعارف أو في المؤتمرات العلمية حول السُّنَّة النَّبَوِيَّة وتدوين الفقه المبكِّر المستشرقون ومن عَلَىٰ شاكلتهم في التشكيك في قوة الإسلام في تدوينه وعلمه لا تزال تُطرح إِلَىٰ الآن، فَلَا بُدَّ من بحوث هٰذِه الوصية الأولى التوصية الأولى من بحوثٍ جادَّة في دراسة التوثيق المبكر للفقه الإسلامي.

❁ **الثانية**: أن يكون هناك إعادة دراسة لكتب أئمة المذاهب، أجد أنَّ الجهد كله ينصب في كتب المتأخرين، العلم الرصين الأقرب للسلف هو العلم الذي كان في القرون الثلاثة، فـ[المدوَّنة] بحاجة إِلَىٰ إعادة نظر وتدقيق، [الأُمّ] بحاجة إِلَىٰ إعادة نظر وتدقيق، [الجامع] للخلَّال بحاجة إِلَىٰ جمع ونشر وإلى آخره، الموجود من مسائل الإمام أحمد، مسائل أصحابه بحاجة إِلَىٰ نشر، كتب مُحَمَّد بن الحسن الشيباني، كتب ظاهر الرواية بحاجة والشروح التي عليها والحواشي المبكرة في القرن الثَّانِي الهجري بحاجة إِلَىٰ إعادة نظر؛ لأن خدمة كتب العلم أجدها كثيرةً فيما بعد القرن الخَامِس الهجري، له سبب، وهو: توفُّر الكتب، توفُّر المخطوطات، توفُّر توفُّر، لها أسبابها، ولكن القوة والرصانة هناك.

كذلك في المسائل في مباحث الطلاق، في مباحث القضاء، في مباحث التوثيق، الوثائق، في مباحث الدولة والقانون الدولي المبكِّر، كتب السير، القانون الدولي العام اللي يُسمى [كتب السِّيَر] عند المتقدمين، هٰذَا بحاجة إِلَىٰ إعادة نظر وعناية.

علماؤنا كتبوا مبكرين في الأموال، كـ[الأموال] لابن زنجويه، و[الأموال] لأبي عبيد، وغيرهم، وكتبوا في الخراج، ومثل هٰذِه أو شبيه بها، وكتبوا في السِّيَر، السِّير هي في الجهاد، ولكن هي فيها كثير من المسائل في علاقة الدولة الإسلاميَّة بغيرها، وهو ما يُسمى في العرف الحديث: "**القانون الدولي العام**"، وكتبوا كثيرا في الأقليَّات الإسلاميَّة الموجودة اليهود والنصارى، إِلَىٰ آخره، حقوقهم في وقتٍ مبكر، في كتب مستقلة، ويمكن أن تكون هي ضمن بحوث القانون الدولي الخاص، وَهٰذَا أشرتُ إليه؛ لأنَّ هٰذِه من الأشياء التي تهمُّ الباحثين في المعهدِ العالي للقضاء.

❁ **التوصية الثالثة**: أن يكون هناك تداول للعلم، العلم لا يهلك إلا في حالتين:

- أن يُقتصر عَلَىٰ الرِّسمي منه.
- أو أن يكون سرًّا.

لَا بُدَّ للعلمِ أنْ ينتشر، وأن يتداول، رَحِمَ الله الأوزاعي، أتى لتلامذته ودخل عليهم الذين لم يبرُّوا به ولم ينشروا مذهبه، وكان عالمًا جليلًا فحلًا، قيل فيه: إنّ عبد الرحمن الأوزاعي يصلح للخلافة، من قوة علمه وفهمه في الدين والدنيا، فلمَّا رآهم يتحدثون في أمورهم، قَالَ: "**ما بالكم؟ تداولوا العلم، تناظروا بالعلم، تحدثوا بالعلم**"؛ لأنَّ العلمَ إذا لم يتداوله طُلَّاب العلم هلك ينتهي، فإذن أن تكون الدروس فيها تداول للعلم، لقاءات طلبة العلم يكون فيها تداول للعلم، لا تتكلَّم في أمورٍ أخرى.

⮊الزمن يحتاج إِلَىٰ العلم، حفظ الإسلام بالعلم، سننتهي إذا أتى من بعدنا وهم لم يحفظوا العلم الصحيح المستقى، وإنما وُجدت عندهم كتب بلا فهم؛ فسوف تكون جناية عَلَىٰ الإسلام، لَا بُدَّ أن يكون هناك عناية بتداول العلم، بحث المسائل والصبر عليها، الإمام أحمد أتاه إسحاق، فتناقشا في مسألة -أظن إسحاق أو نحوه- وأطالا النقاش وترادًّا، حتى ارتفعت أصواتها، فعجب ابن الإمام

أحمد، قَالَ: "**فلمّا انتهوا قام ضيف الإمام أحمد، فتبعه الإمام أحمد وأخذ بركاب دابته**" يعني: اختلفوا وترَّادوا وصياح في مسألة للحقِّ، فلمّا أتى الانصراف أخذ بركاب دابته، يعني: فتح له باب السيارة، "**أخذ بركاب دابته**" ما هٰذَا الأدب العظيم؟! تداول في العلم ومرادَّة في العلم، فإذن الوصية الثالثة: أن تُكثروا من بحث العلم، الحديث في الكتب، الحديث في العلم، أكثر أكثر، لا تتكلَّم في أمور أخرى إلا ما اشتدت الحاجة إليه، أمَّا العلم فليكن أكثر شأنك في العلمِ وحملته وعلمائه وكتبه.

☚أسأل الله جَلَّوَعَلَا أن يوفقني وإياكم لما فيه الرُّشد والسداد، وأنْ يجعلنا ممَّن رَضِيَ عَنْهُم وَأَرْضَاهُم، وأن يغفر لنا ذنوبنا، وإسرافنا في أمرنا، اللّٰهمَّ وفِّقنا ووفِّق ولاة أمورنا لما فيه الخير والسداد، وشكرًا لمعالي مدير الجامعة ولفضيلة الدكتور/ عبد السلام السليمان، ولأصحاب السمو الأمراء الذين حضروا هٰذِه الجلسة وأصحاب المعالي والفضيلة العلماء، أعضاء هيئة كبار العلماء، وإخواني طلَّاب العلم، شكرًا للجميع في ذلك، رزقني الله وإيَّاكم العلم النَّافع والعمل الصَّالح، والخاتمة الحَسَنة، وقوَّانا في الحقِّ، إنَّه عَلَىٰ كل شيءٍ قدير.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ.

❁❁❁❁❁❁❁

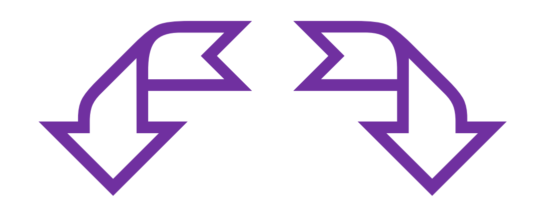
المداخلات

✍ المقدم: معالي الشيخ عبد السلام السليمان.

شَكَرَ الله لكم معالي الشيخ عَلَىٰ هٰذِه المحاضرة القَيِّمة، وَهٰذِه الوصايا، نسأل الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أن يعيننا عَلَىٰ العملِ بها.

أحب أن أُرحِّب بأصحاب السّموّ الملكيّ الأمراء، صاحب السّموّ الملكي الأمير/ سعود بن فهد، وصاحب السّموّ الملكي الأمير/ عبد العزيز بن سطام، صاحب السّموّ الملكي الأمير/ فيصل بن مُحَمَّد بن ناصر عبد العزيز، وصاحب السّموّ الملكي الأمير/ عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد العزيز، وكذلك معالي شيخنا الشيخ/ صالح بن حميد، والشيخ/ عبد الله خنين، والشيخ/ مُحَمَّد بن عبد الله عَلَىٰ حضورهم ومشاركته معنا في هٰذَا اللقاء، نسأل الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أن يجزيهم عنَّا خير الجزاء.

معنا أيها الإخوة معالي مدير الجامعة يريد أن يتحدَّث معكم، فليتفضل:



✍ **مداخلة معالي مدير الجامعة أد. أحمد العامري.**

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ، الحَمْدُ للهِ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَىٰ رسولِ اللهِ، وعَلَىٰآلِهِ وَصَحْبِهِ ومَنْ والاه.

حقيقةً نحن في هٰذَا المساء المبارك سعداء أيُّها سعادة أنْ نلتقي بكم أيها الأفاضل في رحاب جامعتكم: جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلاميَّة، معقِل العلم والعلماء، هٰذِه الجامعة التي خرَّجت العديد من العلماء الأفاضل في علوم الشريعة، ولاحقة في مختلف العلوم والمعارف.

سعادتنا اليوم -أيها الأفاضل- بوجود معالي الشيخ/ صالح آل الشيخ بيننا في إلقاء هٰذِه المحاضرة القيِّمة عن **"تاريخ الكتاب الفقهي"**، حقيقةً أنا لست متخصصًا في هٰذَا الجانب، لكن أمتعنا حديثه هٰذَا المساء بتعريجه عَلَىٰ تدوين الفقه، كيف بدأ؟ وخاصَّةً في القرون الأربعة الأولى، أنا شخصيًّا استفدتُ كثيرًا، فما بال طلَّاب العلم الذين حضروا اليوم بيننا، أتمنى أنَّهم بالفعل استفادوا، وخاصَّةً من الوصايا التي طرحها في نهاية حديثه، أتمنى أن تكون باكورة إنتاجٍ علميٍّ معرفيٍّ يستفيد منه اللاحقون إِنۡ شَآءَ ٱللَّهُ.

أيضًا باسمي واسم جميع منسوبي جامعة الإمام أتقدَّم له بعظيم الشكر والامتنان عَلَىٰ تلبية دعوة الجامعة ممثّلة في المعهد العالي للقضاء، ومتابعة من أخي فضيلة الشيخ/ عبد السَّلام السليمان عَلَىٰ تشرُّفه بإلقاء هٰذِه المحاضرة القيِّمة.

ولا يفوتني حقيقةً أن أرحِّب بأصحاب السّموّ الملكيّ الأمراء الذين اليوم حضروا بيننا، وَهٰذِه دلالةٌ عَلَىٰ حِرص ولاة أمرنا الممثلين بأصحاب السّموّ عَلَىٰ الاستزادة من العلم والمعرفة، والتفاعل مع النشاطات العلميَّة والثقافيَّة التي تقيمها الجامعة.

والشكر أيضًا إِلَىٰ أصحاب الفضيلة العلماء الذين إذا حضروا بيننا مشاركتهم لنا ثمينة جدًّا، وأنا متأكد أنَّ جميع زملائنا سواء كان المعهد العالي للقضاء، أو في بقيَّة كليات الجامعة، وأيضًا الطلبة في الدراسات العليا وفي مرحلة البكالوريوس جميعهم اليوم سعداء أن يلتقوا بكم ويستمعوا لكم.

نعدكم إِنۡ شَآءَ ٱللَّهُ بأنَّ الجامعة ستواصل مسيرة طرح المحاضرات القيِّمة واللقاءات العلميَّة المفيدة وأن نواصل نشر الثقافة والمعرفة بإذن الله تَعَالَىٰ، هٰذِه من أوائل المحاضرات التي ممكن أن

نقيمها هٰذَا العام، سبقنا بعض المحاضرات، لكن أنا أوَّل مرة أشارك وأحضر هٰذِه المحاضرة، وبإذن الله تَعَالَىٰ يعني أنا أشجع نفسي أوَّلًا عَلَىٰ متابعة وحضور مثل هٰذِه المحاضرات القيِّمة.

الشُّكر كل الشُّكر لمعالي الشيخ/ صالح الذي أتحفنا هٰذِه الليلة وفي هٰذَا المساء بهذه المحاضرة القيِّمة، والشُّكر لجميع الإخوة الذين شاركونا الحضور هٰذِه الليلة، وأتمنى طبعًا أن تكون ليلةً سعيدة، أنا متأكد أن هناك بعض المداخلات، لعلي أترك المجال لأخي وزميلي الشيخ الدكتور/ عبدالسَّلام، للترتيب إذا كان هناك مداخلات، وطبعًا آخر كلامنا: شكرًا لكم جميعًا، ونسأل الله لنا ولكم التوفيق والسداد والعون بإذن الله تَعَالَىٰ.



✍ **المقدم: معالي الشيخ عبد السلام السليمان.**

شكر الله لكم معالي المدير عَلَىٰ هٰذَا التوجيه، وأيضًا عَلَىٰ العناية والحرص عَلَىٰ الحضور والمشاركة معنا.

نستسمحكم معالي الشيخ في بعض المشاركات من معالي الفضيلة العلماء، معنا معالي الشيخ الدكتور/ صالح بن عبد الله بن حميد، فليتفضل.

✍ **مداخلة معالي الشيخ الدكتور/ صالح بن عبد الله بن حميد:**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ، الحَمْدُ للهِ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَىٰ رسول الله، وعَلَىٰآله وأصحابه وأتباعه بإحسان.

ليس من عادتي أن أُعقِّب، هذا أولًا، لأني لا أرى أكون في هذا المكان، وأيضًا في حضوري لمحاضرات كثيرة ألاحظ أن المعلقين أقدر مني وأيضًا لهم استدراكاتهم ولهم تعقيباتهم، لكن لا أكتم سرًّا كان الشيخ عبد السلام طلب مني قبل ذلك، قال: أريدك أن تُعقِّب، فلم يسعني أمام طلبه إلا أن أُجيب على ضعف مني، وفعلًا عدم عادتي، والذي ليس عنده عادة عادةً يكون أقل، ثم أيضًا وجدت أني أضعف وأضعف خاصةً أمام معالي الشيخ/ صالح بن عبد العزيز محمد إبراهيم آل الشيخ، هذه القامة، وأعرف أنه لا يحب المدح، لكن أقول شيئا أعتقده، فالشيخ ولله الحمد له حضوره وقبوله، والحمد لله الذي وضعه في هذا المقام وفي هذه المكانة، ثم أيضًا ما قدَّمه هذه الليلة وأمتعنا بهذا الشيء العجيب.

☜ **أولًا**: العنوان "**تاريخ الكتاب الفقهي**" أستطيع أن أقول إنه سهلٌ ممتنع، وتبيَّن لي فعلًا أنه سهل ممتنع حينما استمعت إلى كلمات معالي الشيخ وهو فعلًا عَسِر وصعب ومتين، لكن وجدته سهلًا أمام معالي الشيخ، فأسأل الله له التوفيق ومزيد من العناية والقبول وأيضًا هذا الحضور الكبير جدًّا ولا سيما من أبنائنا الطلاب، وهذا أولًا يدل على مكانة الشيخ ثم أيضًا الجامعة وما تحظى به من ثقة فيمن تستقطبه من أمثال معالي الشيخ.

ليس عندي ما أضيفه إن كان يعني من تطفُّل فأيضًا قد يكون مما يؤكد على العناية به مثل التشجير أيضًا قد يكون من عناية بمقاصد المؤلفين، فإن المؤلفين في مستفتحات كتبهم يذكرون

مقاصدهم، وهذا مهم جدًّا، هذا أوصي به كما أوصى معاليه بالتشجير أنا أُوصي بالعناية بمقاصد المؤلفين، فلا يكاد مؤلف إلا أنه يذكر مقصده في مقدمة كتابه مما يُعين جدًّا على الفهم وأيضًا يُعين على الفهم البعيد كما يريده المؤلف.

☜**الأمر الثاني**: هو أنه حينما يقال أنه قد أُقفل باب الاجتهاد خاصة بعد المذاهب الأربعة. حقيقةً هو لم يُقفل، كما أشار معاليه، مما رسَّخ هذه المذاهب: أنَّ التلاميذ- تلاميذها المباشرين- كانوا أئمة، وكانوا كبارًا وخدموا هذه المذاهب، ثم مَن جاء بعدهم من كانوا كبارًا جدًّا، لكنهم حينما قالوا بقفل باب الاجتهاد لا أظنهم يقصدون القفل الحقيقي بقدر ما هو تقنين الاجتهاد، بدليل: أنَّ الشريعة لم تعجز عن الإجابة عن أي سؤال إلى اليوم، ما وقعت، وأيضًا الفقه هو الحياة العملية، الفقه كما أشار معاليه تاريخه، تاريخ الفقه يعني الحياة العملية، يعني الفقه يشمل حياة الناس سواءً عبادات أو معاملات إلى آخره، والعلماء ما توقفوا أبدًا عن الإجابة عن كل النوازل.

✍**وما أختم به**:هو أنَّ المذاهب تقريبًا في عصرنا توقفت، يعني التأليف في المذاهب توقف، الآن دراساتنا كلها مقارنة، والمؤلفات أيضا حتى كل ما يسمى بـ"**فقه النوازل**" وما عليه المجامع الفقهية وما عليه الرسائل الجامعية، كلها ليست مذهبية، هي الآن يعني اجتهادية بقطع النظر عن دقة ما فيها أو قوته إلى آخره، لكن المذاهب من حيث الكتابة المذهبية تكاد تكون انتهت، يعني مؤلفات المتون ممكن من مائة وخمسين سنة إلى الآن تقريبًا تكاد تكون توقفت، والذي أيضًا عليه الناس هو المسائل الجديدة، والنوازل كلها الإفتاء فيها لا يكاد يكون مذهبيا بما فيها مشايخنا في اللجنة الدائمةلا يفتون على المذهب، وهذا أيضًا ملحظ ينبغي أن يُنظَر له في تاريخ الكتاب الفقهي.

هذا ما يمكن أن يقال، وأرجو ألا أكون -إن صحَّ التعبير-حجبتكم أو شوَّشت عليكم مع ما قدَّمه معاليه من كلامٍ مرتبٍ ومسلسلٍ ومؤصلٍ، ولكن على كل حال إن كان من لومٍ فالشيخ عبد السلام شريكٌ لي في هذه الملامة.

وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّم.

❁❁❁❁❁❁❁

✍ **معالي الشيخ/ صالح آل الشيخ:**

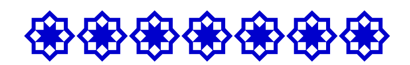
☜أشكر لمعالي أستاذنا الكريم والصديق العزيز فضيلة الشيخ الدكتور/ صالح بن الشيخ العلَّامة/ عبد الله بن حميد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، أشكر له هٰذِه الكلمات الوجيزة المعبرة العميقة، وقد لفت نظري إِلَىٰ شيءٍ لم نتطرَّق إليه في السَّرد، وهو مهم جدًّا في الكتاب الفقهي، وهو: الكتاب الفقهي في القرن الرَّابع عشر، يعني من مائة سنة وإلى الآن، هٰذَا يحتاج إِلَىٰ بحث مستقل، ولكن فيه إضافات كثيرة عَلَىٰ ما سبق.

وقد أشار إليها فضيلة الشيخ صالح في الرسائل الجامعية، هٰذِه كتب فقهيَّة متخصصة، كتب فقهية عميقة تحتاج إِلَىٰ الاستفادة منها، أن يكون هناك رصانة وإعادة تدوير للفقه من جديد عن طريق هٰذِه الرسائل، المجامع الفقهية التي يرأس معاليه المجمع الفقهي الإسلامي الدولي فيها، وله إنتاج غزير جدًّا سواء في الفتاوى التي تعم الأُمَّة أو عبر مجلة المجمع عبر قراراته التي يعتمدها الناس، تعتمدها الجهات، خاصَّةً الجهات الماليَّة والجهات العملية وفي الغرب، إِلَىٰ آخر ذلك.

❁ فتاوى المجامع الفقهية هٰذَا جزء، وهي منشورة جزء من الكتاب الفقهي الجديد.

❁ الموسوعات الفقهية، كالموسوعة الفقهية الكويتيَّة والموسوعة الفقهية المصرية، والموسوعات الفقهية الموجودة عَلَىٰ الشبكة ونحو ذلك، الموسوعات الفقهيَّة صحيح هي كتابة للأول، ولكن هي تقريبٌ للفقه بشكلٍ آخر، فَهٰذَا أيضًا لَا بُدَّ أن تُرصد في مسيرة الكتاب الفقهي.

فتح لنا معاليه جَزَاهُاللهُخَيْرًا كعادته الكثير من الأبواب في تتمة هٰذَا الموضوع، بَارَكَاللهُفِيْهِ، ونفعنا بعلمه.



✍ **مداخلة معالي الشيخ/ عبد الله بن خنين:**

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العالَمين، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَىٰ أشرف الأنبياء والمرسلين، نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وعَلَىٰآله وصحابته أَجْمَعِيْنَ.

ماذا أقول بعد كلام شيخنا الشيخ/ صالح وفَّقه الله، إلا كما قال الأول "**لا عطر بعد عروس**"، ولكن مشاركة التي طلبها الشيخ/ عبد السلام أردت أتكلم بها يتيسر مما فهمت،وأثني على ما ذكره الشيخ صالح في خاتمته بخاصة ما ذكره من تداول العلم، وألا يبقى في المقرات الرسمية، بل أهل العلم يتداولونه ويتناظرون فيما بينهم في مسائله فإنَّ ذلك مما ينمي العلم ويُزكيه.

وقد قال الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ "المناظرة في العالم بالفن ساعة خير من القراءة ولو طالت أو استمرت أيامًا وأسابيع". فالمناظرة في الفن والمناقشة فيه لا شك مما يُثري هذا الفن ويزيد طالب العلم ويرفع عنه الإشكالات.

◆ **أمَّا ما يتعلق بالمدونات الفقهية**: فهي مدونات ولا شك يعني كما ذكر الشيخ في البداية فتناول هذا الموضوع وطرحه طويل، وتسجيل تاريخ تدوين الفقه أمر مهم جدًّا؛ لأننا مع الأسف نجد -وقد أشار الشيخ إشارة- من المستشرقين مَن يرون أنَّ الفقه الإسلامي إنما هو مأخوذٌ من القانون الروماني، ويستدلون ببعض الشُّبهات التي يطرحونها من أنَّ الإمام مثلا الأوزاعي عاش في الشام ومدرسة القانون في بيروت... إلى آخره، وهذه كلها شُبهة الشيخ وفَّقه الله قد جلاها بطريقة: هذا هو فقهنا، وهذه هي منابته من الكتاب والسُّنة ومشاركة العلماء الأوائل من الصحابة والتابعين وتابعيهم ومَن بعدهم إلى يومنا هذا، وهي تدل على أنَّ هذا الفقه قائم مستقل، والعلماء لا يزال يستفيد بعضهم من بعض من الأئمة الكبار ومن غيرهم.

⇦ **فقد قال مثلا الإمام أحمد**: إذا جاءت مسألة أخذت فيها بقول الشافعي أو كما قال؛ لأنه عالم من قريش، وكان أيضًا الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال في مسألة في الحج: قلته تقليدًا لعطاء. فاستمرار العلماء وأخذ بعضهم من بعض وتواصلهم في هذا الجانب مما أثرى الفقه وجعل له هذه المؤلفات التي وصلت إلينا اليوم، ولا يمكن لأحد أن يتأهل في جانب الفقه إلا بالإطلاع على جانب من هذه الجوانب لإثراء مَلَكته وتقويتها حتى يكون مشاركًا في هذا الفن.

وأيضا الكتب هذه الكتب لا بُدَّ من المصنفات التي صُنِّفت عند الاستفادة منها لا بُدَّ أن يكون عند الإنسان من مَلَكات ومهارات حتى يُشارك في الاستفادة منها وأن يفهمها حق الفهم هذا هو المهم، ليس المهم أن تحفظ كتابًا ولكن المهم أن تفهم هذا الكتاب، وفهم هذا الكتاب مختصرًا أو مطوَّلًا يتطلب إعادة المسائل إلى أصولها وإلى عِللها وإلى أدلتها، وأن أيضًا يكون عند الإنسان ثقافة فقهية شاملة حتى يستطيع أن يفهم ما أطلقه العلماء في موضع فيطلقه على مقيداته، في مواضع أخرى؛ إذ أن الاسترسال وراء هذه المطلقات ربما أحيانًا يؤدي إلى خطأ مَن يستصحب مثل هذه الحالة، وهكذا فهم مصطلحات الفن وأساليب العلماء في تقريره والقدرة على تحرير ما في الكتب، كل هذه مهارات وأمور مطلوبة من طالب العلم للتمكن من الاستفادة من الكتاب الفقهي.

❋ الشكر لمعالي شيخنا محاضر هذه الليلة لِما أثرانا وأفادنا بذلك، وقد كنا نستفيد منه ولله الحمد في مناسبات سابقة، سواء كان بالحضور أو كان عن طريق الاستماع إلى محاضراته المتلفزة، واستفدت منها أنا وغيري من طلبة العلم، ثم الشكر لهذه الجامعة ممثلةً بمديرها وفي عميد المعهد العالي للقضاء، والشكر لمعالي الشيخ الذي أفادنا بهذه الفوائد العظيمة.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحَابَتِهِ أَجْمَعِيْنَ.

❋❋❋❋❋❋❋

✍ **مداخلة فضيلة الشيخ الدكتور/ عبد الله الشتري:**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ، الحَمْدُ للهِ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَىٰ رسولِ الله وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ ومَنْ والاه.

➢أشكر الله جَلَّ وَعَلَا عَلَىٰ هٰذَا اللقاء المبارك الطيِّب الذي أبحر فيه شيخنا العلَّامة بنا بهذه العلوم والمعارف المتعددة في جانب الكتاب الفقهي، والشكر لمعالي مدير الجامعة عَلَىٰ تنظيم هٰذِه المحاضرة ممثلةً في المعهد العالي، فجزاهم الله خيرًا عَلَىٰ هٰذِه الأعمال الجليلة النافعة المفيدة، وشيخنا العلَّامة كعادته إذا تكلَّم أتى بالفوائد والفرائد النافعة والمفيدة التي قد لا يحصل عليها الإنسان إلا بالسماع، لي مداخلتان في عَلَىٰ ما تكلَّم به شيخنا العلامة الشيخ صالح:

❃علَّق بمذهب الإمام أحمد والروايات التي عنه: ما وجه تعدُّد الروايات عن الإمام أحمد في بعض كتب مؤلفي هٰذَا المذهب؛ لأننا نجد أن هناك كتب مؤلفة عَلَىٰ الرواية الواحدة، وكتب مؤلفَّة عَلَىٰ الروايتين وعَلَىٰ الثلاثة، كما عند ابن قدامة في كتابه [الكافي]، كذلك نجد في كتب الخلاف عند الأئمة ككتاب [المُحلَّى] وكتاب [شرح المُهذَّب] وغيره، يشيرون إِلَىٰ الخلاف، لكن نادرًا ما يذكرون مذهب الإمام أحمد فيها، إلَّا أنَّ ابن قدامة توسَّع في هٰذَا الموضوع، وكذلك في كتب التفسير التي تتكلَّم عن الأحكام، أحكام القرآن، كالقرطبي والكيا الهراس وغيره، فهم يذكرون المذاهب، وليس هناك إشارة إِلَىٰ مذهب الإمام أحمد، فنطلب من شيخنا تجلية هٰذَا بارك الله فيه.



✍ **معالي الشيخ/ صالح آل الشيخ:**

شكرًا لفضيلة الشيخ الدكتور/ عبد الله الشتري عَلَىٰ ما أبدى، وأنا أتذكر لـمَّا كنت ألقي المحاضرات في الجامعة في كلية أصول الدين، وكان الشيخ عبد الله في الصف اَلْأَوَّل في القاعة، كان يأتي بأسئلة مثل هٰذِه، فيها شيء من المضايق والدقائق، لكن الجواب الآن أسهل مِمَّا قبله يا شيخ عبد الله.

⬅ **أمَّا الروايات** عن الإمام أحمد المتعددة أكثر ما نُقل عن الإمام أحمد حسب [المغني] في مسألة في أنه نُقل في مسألة سبع روايات، وَأَمَّا الثلاث روايات فكثير، أمَّا الروايتان فكثيرة جدا جدًّا، ولا يكاد يكون له قول في المسألة واحد، يعني رواية واحدة، إلا إذا كانت إجماعًا أو منصوصًا عليها في الكتاب وَالسُّنَّة وعليها مذهب الأئمة السابقين. السبب: أنَّ الروايات التي دوِّنت ليست منه وإنما دوَّنها تلاميذه من كلامه، وكما ذكرت لك -وَهٰذِه ذكرها ابن تيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في [الفتاوى] في موضع، وفي غيرها-أنَّهم كانوا يسألونه عن مسائل العلماء، فكانوا يسألونه عن مسائل إسحاق فيدوِّن، ويسألونه عن مسائل الأوزاعي فيدوّن، ويسألونه عن مسائل الشافعي فيدوَّن، ويسألونه عن مسائل مالك، ومسائل أبي حنيفة، ومسائل الثوري.

❁ فالأصحاب-وَهٰذِه نقطة مهمة- أصحاب الإمام أحمد، تلامذة الإمام أحمد الذين دوَّنوا مسائله كانت متنوعة، منها -وهو الأكثر-: أنهم سألوه عن مذاهب الناس، بالتالي فإنَّ الأجوبة تكون مختلفة بحسب الإيرادات كما ذَكَرَ ابن تيمية، وَهٰذَا فارق دقيق فيما يُقبل من رواياته أن يكون خلافًا، وما لا يُقبل؛ لذلك ابن تيمية وابن القيم والمحققون حتى أبو يعلى أحيانًا يقول: ولا ينبغي أن يكون هٰذَا من قول الإمام أحمد، ولا يصح أن يكون هٰذَا قول الإمام أحمد حتى لو نُقلت فيه الرواية؛ لأنَّه مخالفٌ لأصل أحمد، لأنَّ الجواب يكون عَلَىٰ نحوٍ ما، وأهل الفقه والشريعة وبالمذهب أكثر فهمًا في ذلك، الجواب يكون عَلَىٰ نحوٍ ما بحسب السؤال، وإذا رجع إِلَىٰ الأصول يقول: لا ينبغي أن يكون هٰذَا القول لأحمد، ولا أن تصح هٰذِه الرواية عن أحمد؛ لأنَّها تخالف أصل أحمد.

⬅ فإذن الروايات متعددة، أسبابها مختلفة، ولكن مذهب أحمد هو ما اجتمعوا عليه، وقلَّ أن يكون فيه هناك أكثر من رواية، فيمكن أن يُحصَّل أنَّ روايات الإمام أحمد تكون صحيحة في

الروايتين، وقد -وهو قليل- تكون ثلاث روايات في مسائل قليلة، ومَنْ سرد [الكافي] لابن قدامة فإنَّه يرى الثلاث روايات، ابن قدامة له فضلٌ كبير جدًّا جدًّا عبد الله بن أحمد بن قدامة الموفَّق، وهو عَلَىٰ اسمه موفَّق شيخ المذهب، شيخ الحنابلة وشيخنا، صاحب الفوائد العظيمة، خدم المذهب هو الذي نقل المذهب من الاختصار إِلَىٰ الانتشار، كتب أربعة كتب عظيمة في المذهب عليها اعتماد الناس، وبها قوي المذهب وقوي التلامذة، هي كتب منهجية، منهجيّة مرتبة.

- [العمدة] في الفقه بناه عَلَىٰ مسائل قليلة في الباب بدليلها.
- [المُقنِع] هو معروف، [المقنِع]هٰذَا الذي له شروح كثيرة جدًّا عَلَىٰ روايتين.
- و[الكافي] ثلاث روايات، يعني في بعض المسائل التي فيها ثلاث روايات.
- و[المغني] في ذِكر الخلافالعالي، خلاف المذاهب وخلاف السلف في ذلك.

فرَّتبها ترتيبًا منهجيًّا عظيمًا، روايات الإمام أحمد لا تخرج عن هٰذَا النحو، شكرًا.



✍ **مداخلة فضيلة الدكتور/ عبد الله السُلَمي:**

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ، الحَمْدُ للهِ رَبِّ العالَمِين، وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وسَلَّمَ تسليمًا كثيرًا.

إنَّ من بركة هٰذَا المعهد أن كان أوَّل لقاءٍ له من لقاءاته هو: أن تكون باكورة هٰذِه اللقاءات من شيخنا العلَّامة الشيخ/ صالح بن عبد العزيز بن مُحَمَّد بن إبراهيم آل الشيخ، حفظه الله، والحقيقة أنَّ أيّ لقاءٍ يلتقي به شيخنا الإخوة وطلبة العلم لَا بُدَّ أنْ يضفي لأي موضوع شيئًا جديدًا قد لا يكون ظاهرًا لكل من أراد أن يتحدث عن هٰذَا الأمر، ولعلي أختصر وأريد من شيخنا بعض التوجيهات في أربع نقاط:

❁ **النقطة الأولىٰ**: من المعلوم ونحن نتحدث عن تاريخ الكتابِ الفقهي، من المعلوم أنَّ الأئمة الأربعة اهتموا في عصورهم المتأخرة عَلَىٰالتخريجات الفقهيَّة للمسائل الحديثة التي لم ينصّ عليها إمام المذهب أو أصحابه الكبار، فكتاب [المُجرَّد] لأبي يعلى أو كتاب [الهداية] لأبي الخطَّاب محفوظ الكلوذاني، وقل مثل ذلك في كتب الأئمة الآخرين، أليس من الأهمية أن تُعنى الجامعات وكذا العلماء وطلبة العلم أن يكون الاهتمام بالتخريج الفقهي في المسائل الأصليَّة عَلَىٰ مذهب إمامٍ واحد، فيُقال: التخريج الفقهي للمسائل والنَّوازل عَلَىٰ مذهب الإمام أحمد، ويؤلَّف كتاب آخر عَلَىٰ مذهب الشافعي؟ لأنَّ الاهتمام في هٰذَا الفن يمنع بإذن الله من التناقض والاضطراب الذي يراه القارئ لبعض الآراء في البحوث المعاصرة.

❁ **الأمر الثَّانِي**: من المعلوم أنَّ دراسة الفقه عن طريق الكتاب الفقهي المطوَّل الذي يقوم عَلَىٰ الاستدلال والحِجَج سواء منها المتعلِّق في الفقه المقارن بين المذاهب، أو بين المذهب الواحد، كان قائمًا عند الفقهاء المتقدمين في دروسهم، وإلىٰ وقتٍ قريب حتى ذَكَرَ من ذَكَرَ في ترجمة بعض علمائنا أئمة الدعوة أنَّه كان يستظهر [المغني] بسبب كثرة القراءة عليه، ولـمَّا أراد ابن البشير وابن الحاجب وابن شاس، وهم من علماء المالكيَّة اختصار الكتب المعتمدة المطولة عند المالكية، وجعل المسائل عَلَىٰ تبويبات بلا استدلالات كـ[جامع الأمهات] لابن الحاجب، و[عقد الجواهر الثمينة] لابن شاس، كَرِه

علماء المالكيَّة هٰذَا الاختصار، وعلقوا عَلَىٰ تقريب المذهب المالكي بهذه الطريقة، حتى قَالَ بعض المالكيَّة أنهم فَسَّدوا الفقه -كما ذَكَرَ ذلك الشاطبي والونشريسي-.

☜ وسؤالي: ما توجيه شيخنا حَفِظَهُ اللهُ في إحياء هٰذَا النوع من الكتاب في دروس المساجد، بحيث تُقرأ كتب المطولات ويكون وظيفة الشيخ هو إزالة الإغلاق، وتوضيح الأقيسة بما لا يهدم فائدة قراءة الكتاب المطوّل حتى يستفيد الطالب لغة الفقهاء وتقوى الملكة الفقهية؟

❖ **النقطة الثالثة**: من المعلوم أنَّ علم الفقهِ علمٌ يحتِّم عَلَىٰ الفقيه أن يكون مخالطًا لمجتمعه ومشاركًا له، فهو ليس من العلوم التجريدية البحتة التي يضبطها متخصصها عن طريق النظر العقلي، بل هو علمٌ يقوم عَلَىٰ مباشرة الفقيه لأسباب الحياة، ومعرفةٍ بأحوال الناس وحاجاتهم؛ ولهذا كانت كتب الأئمة باختلاف تنوّعها كانت عَلَىٰ حسب عصورهم وما يحتاجونه، ولئن كان هٰذَا الأمر ظاهرًا جليًّا عند علمائنا والأئمة الأربعة ومن جاء بعدهم، فإنّه في العصور المتأخرة وبسبب طريقة معاش الناس ووظائفهم خاصة طلبة العلم، حتى أصبح الفقيه في غالب المتخصصين اليوم قد يدرك تعاملات البيع والشراء في أزمانٍ قديمة، كانوا يتبايعون فيها، ومسطرة في كتب الفقه، مثل: مسألة "**مُد عجوة**"و "**قفيص الطحَّان**" و"**بيع الاستجرار**" و"**بيعة أهل المدينة**"، يدرِك ذلك إدراكًا تامًّا، لكنَّه في البيوع المعاصرة التي لها مسمًى عالمي اقتصادي، كمسألة "**البيع عَلَىٰ المكشوف**"، أو مسألة "**التورُّق المصرفيّ**" في حقيقة تعامله الواقعي وليس المسطور في البحوث، وقد يدرك مقدار القلّة والرطل، والفرق بين الرطل العراقي والرطل الحجازي، لكنه لا يدرك مقياس البرميل النِّفطي، أو الأونصة من الذهب، ومقدار كل واحدٍ منهما، ولاشك أنَّ هٰذَا الأمر يتطلّب دراسةً وافيةً في أسباب ذلك، فهلا من شيخنا العلَّامة توضيح سبب هٰذَا؟

❁❁❁❁❁❁❁

✍ **معالي الشيخ/ صالح آل الشيخ:**

أشكر للأخ العزيز فضيلة الدكتور الشيخ/ عبد الله السُّلَمي، الذي نستمع إليه في كثيرٍ من مسائله وفتاواه، ونرجو له التوفيق في مستقبل أيَّامه. المسائل الثلاثة التي ذكرها ونحا فيها إِلَىٰ نحو الاستفادة من الفقهِ:

✍ **المسألة الأولى: مسألة التخريج عَلَىٰ مذهبٍ واحد.**

مقتضى الرسائل العلمية الحديثة وأنظمة الجامعات ونحو ذلك: أن يكون النّظر الفقهي في الرسائل الجامعية عَلَىٰ المذاهب المختلفة، يعني: الفقه المقارن، أمَّا التخريج عَلَىٰ مذهبٍ واحد؛ فيحتاج إِلَىٰ نظرٍ واستصدار أوامر فيما أحسب، وقرارات جامعية؛ لأنَّ التخريج عَلَىٰ مذهبٍ واحد إذا كان في الرسائل العلميَّة فإنّه يفقِد الطالب فهم التخريج إذا كان عَلَىٰ مذهبٍ آخر، ومقصود الرسائل العلمية ليس هو أن يكون مفتيًا، المقصود أن يتعلَّم، يحضر الطالب -طالب العلم- رسالة ماجستير ليتعلَّم، ورسالة دكتوراه ليتعلَّم، وليس ليتصدَّر، ولكن ليتعلَّم ثُمَّ يُعلِّم في ذلك، فالتخريج إذا كان عَلَىٰ المذاهب الأربعة ولو قلّت المسائل أفضل من أن يكون تخريج عَلَىٰ مذهبٍ واحد وتكثر المسائل؛ لأنَّ إحداث الملكة الفقهيَّة يكون بنحو أمثلةٍ من التخريج في المذاهب كلِّها، وخاصةً في مرحلة الدكتوراه، ولكن خارج الرسائل فإنَّ ضبط العلم يكون بالتخريج عَلَىٰ مذهب واحد لا شك.

✍ **أمَّا المسألة الثانية التي ذكرها الشيخ وهي في القراءة في المطولات كـ[المغني] ونحو ذلك:**

فإنَّ القراءة في المطوّلات مفيد، لكن لا يؤسِّس العلم، مفيد لطلَّاب العلم الذين أُسِّس لديهم العلم، من قرأ المختصرات وشروحها وفهمها ثُمَّ سيقرأ في [المغني] طلبة علم متمكنون أساتذة يقرؤون، يستفيدون، من يعاني الإفتاء يقرأ في المطوّلات، يستفيد ويفيد، لكن أن يُستغنى بالمطولات عن المختصرات، فَهٰذَا لا يكون فيه فائدة للعلم، وجرد المطولات كان موجودًا عند أهل العلم، لكن يكون أصحاب فائدة.

سألت سماحة الشيخ الجليل/ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ ورفع درجته في الجنة، سألته مرة، قلت: هل حضرت عند الشيخ الجد الشيخ مُحَمَّد بن إبراهيم قراءة في كتب

[السنن]، [سنن أبي داود]، [الجامع] للترمذي، ونحوها؟ قَالَ: لا، أنا في وقتها كنت صغيرا، دخلت عليهم مرة، وهم يقرءون [الجامع] للترمذي، كان يقرؤه الشيخ صالح بن عبد العزيز، ليس قاضي الرياض، أحد آل الشيخ توفي صغيرًا وكان طالب علم متمكِّن، كان يقرأ عَلَىٰ الشيخ، وما كان يُؤذن لنا نحضر المطولات أو شروح كتب السنن المطولة، حتى أتممنا الكتب الأولى، فكانت طريقة أهل العلم: أنَّ شروح المطوّلات، شروح [الصحيحين]، شروح [السنن]، الكتب الفقهية المطولة، أنَّها كانت للخاصة، لمن يستفيد؛ لأنَّ الطلَّاب إذا أخذوا بعض الخلاف في الكتب المطولة لم يكن سهلًا عليهم أن يضبطوا أسس المسائل.

أمَّا المسألة الثالثة: وهي عدم العناية بالأمور المعاصرة.

وخاصةً في المكاييل والموازين أو في الصور، الصور المعاصرة كما مثَّل به "**مد عجوة**" ونحوه من الأمور القديمة والأمور الحديثة، مثل: "**البيع عَلَىٰ المكشوف**" أو "**بيع الخيار**" أو نحو ذلك، هٰذِه لا شكَّ أنها مسألة مهمَّة، وَلَا بُدَّ أن يكون في الكليات الشرعية والقضاء أن يكون هناك عناية بالمسائل الجديدة، كتب الفقه لَا بُدَّ أنْ تُقرأ كما هي.

ذهبنا إِلَىٰ أفريقيا، ذهبنا إِلَىٰ بعض الدول في آسيا وجدنا المسائل الفقهية هٰذِه موجودة عندهم، ذهبت لبلدان فيها ضعف، وجدت الناس في القرى يسألون، عندهم مُد وعندهم صاع، وعندهم بعض الأشياء الموجودة، فعدم العناية بالمسائل القديمة التي تحدِث أوَّل درجات الملكة الفقهية ما أرى أنَّه يكون من المفيد لطالب العلم، لكن إذا قرأها درسها يُضاف إليها المسائل الحديثة، وخاصةً المكاييل والموازين، وضرب الدكتور/ عبد الله مسألة البرميل، برميل النفط أو غيره، وَهٰذِه مسألة كبيرة في المكاييل والموازين، قلَّ أن يعرف طلبة العلم المكاييل والموازين، وَهٰذِه ليست من العصر الحاضر أو من طلَّاب العلم الآن، من قديم، وهو يحدث إشكال عند الفقهاء وطلبة الفقه، حتى من عنده عناية بالفقه يحصل عنده خلل في الموازين والمكاييل، يعني مثلًا: المثقال ما هو؟ نصاب الزَّكَاة بالذهب كم المثقال؟ ماذا يواكب من غيره؟ الفضةا لوسق كم هو؟ كم يعادل؟ النصاب إذا كان من الذهب، الذهب هل يختلف؟ أربعة وعشرين قيراط غير عن واحد وعشرين قيراط، غير ثمانية عشر، في نصاب الزَّكَاة لمَّا يتكلَّم عن المسافات الميل، والبرد، مثلًا في أربعة بُرُد، ما هو البُرد؟ وكم هو؟

وكيف؟ ثُمَّ هناك هل هٰذِه المكاييل والموازين المد والصاع، المكاييل والموازين هل يراد بها التحديد أم يراد بها التقريب؟ هٰذَا خلاف فقهي قوي، يعني: هل المكاييل والموازين والمسافات يراد بها التحديد أو يراد بها التقريب؟ هٰذَا خلاف فقهي موجود، من القواعد الفقهية، وألَّف فيه النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، وفيه قاعدة، يعني: وكتب فيه كتابه المقصود، وأصحاب القواعد، التقريب، ما فيه تقريب وما فيه تحديد.

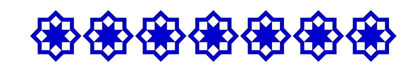
⮌ هناك من كتب في المكاييل والموازين كثر، لكن المكاييل والموازين تختلف في مكاييل وموازين في مصر، في مكاييل وموازين في الحجاز، مكاييل في الشام، مكاييل وموازين في بغداد، المسافات تختلف، طيب المسافة تُقاس بكيف؟ يعني مثلًا في الزمن اَلْأَوَّل يقول الآن الميل، الميل هو كذا، كيف يُحسب؟ يحسبونه، يقولون: كذا زراع، والزراع كذا شبر، والشبر هو كذا أصبع، والأصبع هو وضع عشر حنطات، بعض الحنطة الواحدة في بطن الأخرى، حتى تجمع عشر، يعني تفاصيل التفاصيل تنبئك عن دقة، نعم، لا حاجة لها، ولكن هي تدريب رياضي ومخ تدريب لذهن الفقيه حتى يتعلَّم كيف يفكِّر، وأنَّ العلماء كانوا دقيقين، يبرِّئون ذمتهم، يعني كيف يحسبها بهذه الحسبة؟ يعني أنَّ القصد من الفقه براءة الذِّمَّة.

۞ **وانتبه انتبه في هذِه المسألة**: الموازين والمسافات والمكاييل في الزمن اَلْأَوَّل مختلفة، يعني: الصاع النجدي والمُد النجدي هل هو نفسه النبوي؟ مختلف، هٰذَا أكبر، الصاع النجدي أكبر، فإذن هناك اتحاد في المسميات واختلاف في الحقائق، هٰذِه لا يمكن أن تُنتزع من البحث الفقهي ومن التدريس الفقهي إلى أن يكون فقط هٰذَا بالأمور الجديدة، المناسب ومثل ما تفضَّل به فضيلة الدكتور/ عبد الله، المناسب أن يُدرَّس القديم كما هو، يُضاف عليه الشروحات، الخلاف في القديم، في الموازيين والمكاييل والمسافات، ويؤتى بالجديد، أو تكون مادة مستقلة في الجديد في الموازين والمكاييل وهي حريَّة بذلك، أو بحث مستقل أو دراسات مستقلة؛ لأنَّها متفرّعة في كثيرٍ من الأمور.

⮘اليوم في البلاد من رحل للبلاد التي الشَّمْس فيها لا تغيب، أو اَللَّيْل يكون أكثر من أربعة وعشرين ساعة، الشَّمْس تكون موجودة يمكن بعضكم ذهب إِلَىٰ شمال أوربا، موجود فيها الشَّمْس تستمر أشهر، كيف يقدِّر وقت الصلاة؟ وهل يقدرها بتوقيت أو بأقرب بلد أو بدوران الشَّمْس في

الأُفق؟ مذاهب وأقوال لأهل العلم، هنا لكن من لم يذهب يكون كمن؟ كابن حزمٍ لم يخطئ في الحج لأنَّه لم يحج، فيتكلَّم يقول: يقيس عَلَىٰ أقرب البلدان إلينا، أوقات الصلوات لازم تذهب وتشوف، ترى حركة الشَّمْس في أربعة وعشرين ساعة في كبد السماء كيف تكون، فترى أنَّها ابتدأت من مكان، وفي اليوم رجعت إِلَىٰ نفس المكان، تدور نفس المكان؛ فإذن سيُقسَّم اليوم باعتبار ذلك، إذا كان اَللَّيْل يستمر أيَّام أو أشهر كيف تحسبها؟ فإذن هناك مسائل تفهمها عَلَىٰ نحو الفقه القديم الموجود في الكتب، ولكن فهمها عصريًّا لَا بُدَّ من ممارسةٍ ومشاهدة، الجمع بين الممارسة والمشاهدة مهم، وخاصَّةً في [المجامع العلمية]، في رسائل الدكتوراه، في رسائل الماجستير، في التخصصات، لا يُسمح لأحد أن يكتب في مسألة موجودة في العالم، ولا يذهب ويراها بعينه، ما يمكن الوصف، تكتب رسالة علمية وأنت لم ترحل، لم تسافر حتى تراها بعينك، هٰذَا نقص، نقص كبير، تكتبها نظريًّا؟ ليس كذلك، تكتب مسألة مثلًا في الخيار الموجود في البيوع المعاصرة في البورصات العالمية، ومعناه كيف يتم، وهو لم يذهب إِلَىٰ بنك، ويرى كيف ينفَّذ؟ يحصل عنده قصور وخلل، إذا كان الطالب يذهب ويستقرئ الوصف نظريًّا من الورق، فإنَّه لا يمكن أن يدرِك الفقه، إذا كانت الصورة موجودة في الواقع؛ اذهب إليها، صورة مثلًا بيع الخيار، صورة السفتجة القديمة وكيف تتم حاليًّا لازم تذهب للبنك وتشوف كيف ينفذونها فعليًّا؛ ولذلك لَا بُدَّ، كيف تُبنى الحضارة؟ كيف يُبنى التطور؟ كيف يبنى الانفتاح الفقهي المُدلَّل؟ لَا بُدَّ من الجمع ما بين العلم الصحيح وما بين المشاهدة الواقعية.

بَارَكَ اللهُ فِيكُمْ.



✍ **نختم هذا اللقاء بمداخلة الشيخ الدكتور/ يوسف الشبيلي:**

بسم الله الرحمن الرحيم، الحَمْدُ للهِ رَبِّ العالَمِين، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وعَلَىٰآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ؛ أَمَّا بَعْدُ:

⬅ أُهنئ المعهد العالي للقضاء، وأهنئ جامعة الإمام عَلَىٰ هٰذِه الباكورة بهذا الاستهلال بهذه اللقاءات العلميَّة، بهذه المحاضرة القيّمة الرائعة من معالي شيخنا الشيخ/ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، وَهٰذَا الحقيقة يعطي انطباعًا بأنَّ اللقاءات إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ هٰذَا النسق ستكون بهذه القوة وبهذه المتانة التي سمعناها وأمتعنا بها معاليه، وحلَّق بنا في سماء المدونات والتصنيف الفقهي بدءًا من العصر اَلْأَوَّل وحتى العصر الحاضر بوصفٍ بديع، وكلماتٍ موجزة بيَّنت الكثير مما يتعلَّق بالتدوين الفقهي، وختمها بوصايا مهمَّة للغاية، وفي الحقيقة أنا استوقفتني الوصية الثانية من معاليه، وأرى أنَّها يعني وضع أصبعه عَلَىٰ الجرح، وهي تتعلَّق بالرجوع إِلَىٰ المصادر الفقهية الأولى.

☜الآن الحقيقة نحن في هٰذَا العصر، أنا أعتبره هٰذَا عصر الثورة في النوازل الفقهيَّة، يختلف عن سائر العصور السابقة، فهو بحاجة إِلَىٰ اجتهادٍ فقهيٍّ، وبحاجة إِلَىٰ نظر وتأصيل ودراسة النوازل المعاصرة من خلال هيئات الاجتهاد الجماعي، الجامعات، الأقسام العلميَّة، البحوث والرسائل العلميَّة وغيرها، لكن الحقيقة أجد فجوة كبيرة جدًّا ما بين الباحثين في هٰذَا العصر والرجوع إِلَىٰ المصادر الأولى التي تفضل معاليهبذكرها، وأنه ينبغي لطلبة العلم أن يرجعوا إِلَىٰ تلك المصادر.

❋في كثير من النَّوازل المعاصرة نجد أنَّ النَّاظرين الباحثين أو طلبة العلم قد تحكمهم في الحكم عَلَىٰ النَّازلة بعض القيود والتصورات التي ذكرتها المصنفات المتأخرة، مِمَّا يؤدي إِلَىٰ تضييق عَلَىٰ كثيرٍ من الناس في كثيرٍ من المسائل، ليس بسبب قصورٍ في الشريعة، وليس بسبب عدم شمولية هٰذِه الشريعة، ولكن من فهمٍ خاطئٍ من بعض طلبة العلم، أو من بعض الناظرين لبعض النصوص في المصنفات المتأخرة مِمَّا حدا إِلَىٰ أنَّهم يحاولون أن يقولبوا -إن حسن التعبير- أن يجعلوا هٰذِه المسائل في القوالب التي وُضعت في تلك المصنفات المتأخرة.

☜فما ذكره معاليه من ضرورة الرجوع إِلَىٰ المصنفات الفقهية الأولى في العصور الأولى هي الحقيقة المصدر القريب من عصر النبوة الذي ينبغي أن نحييه ونرجع إليه، وفي الحقيقة في تجربة قام

بها معهد البحوث والتدريب في البنك الإسلامي للتنمية حول هٰذَا، الموضوع فيه جزئية يسيرة من المعاملات المعاصرة رجع فيها إِلَىٰ المصنَّفات الفقهية الأولى، فوجدوا الحقيقة كنوز عظيمة يمكن أن نستأنس بها في النوازل المعاصرة.

أنا أتمنى شيخنا بحضورك هٰذِه الليلة والحقيقة بما أمتعتنا به أن تخرج هٰذِه التوصية بأُطُر عمل وبادرة عمل -وبمناسبة حضور مدير الجامعة- يمكن أن تتبناها جامعة الإمام شيئًا عَلَىٰ هٰذَا النحو في إحياء التراث اَلْأَوَّل وربطه بالنوازل المعاصرة، بحيث يستطيع طالب العلم والأستاذ في الكلية يعني أن يضبط هذه الأشياء في مشروع، أو مركز يمكن أن يُخصَّص لهذا الأمر، أتمنى معاليك أن نسمع شيئًا حول هٰذَا الموضوع، شكر الله لكم ما سمعناه من كلمات ثريَّة وعمق علميّ، وأسأل الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ الحقيقة أنا مدينٌ لكم بكوني طالبًا عن بعد من طلبتكم ممن استفاد كثيرًا الحقيقة في محاضراتكم والأشرطة، لاسيما المحاضرات في التأصيل العلمي وفي طلب العلم، لا تزال الحقيقة يعني تثري في نفسي الحرص والهمَّة في طلب العلم، نسأل الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ أن يجزيك خير الجزاء عَلَىٰ ما قدمته وعَلَىٰ ما تقدمه، وأن يجعل ذلك في ميزان حسناتكم.

❁❁❁❁❁❁❁

✍ معالي الشيخ/ صالح آل الشيخ:

بَارَكَ اللهُ فِيكَ، أشكر لأخي الشيخ الدكتور/ يوسف الشبيلي ما ذكره، وأنا أتفق معه حقيقةً، لم أتجاسر لأن أقول: إنَّ الكتب الفقهية قبل سنة أربعمائة هجرية هي مهمة، أو هي أهم لمن يدرس النوازل الحديثة من الكتب المتأخرة، وذلك أنَّ الكتب الفقهيَّة الأولى كتب مستقاة من النَّصّ أو من سعة الصحابة والتابعين، أو من الرأي والعقل الصحيح والقياس الصحيح.

❁خلية تجدها، كل الكتب قبل الأربعمائة خلية من التعريف، خلية من الشروط، خلية من الأركان، فلا تجد الباب يبتدئ بالتعريف لغةً واصطلاحًا، لا تجد فيه أركانا، لا تجد فيه شروطا، الشروط التي ابتدئت في البيع في الأوَّل أربعة ثُمَّ صارت سبعة في بعض الكتب، ثُمَّ صارت اثني عشر، والشروط في النكاح كانت اثنين أو ثلاثة ثُمَّ صارت في بعض المؤلفات بعضها خمسة ثُمَّ صارت عشرة، ثُمَّ صارت خمسة عشر، ثُمَّ نحو ذلك.

❁التعاريف التي تفضل بها الدكتور يوسف دقيق وعميق، الذي يريد أن ينظر للنوازل بسعة الشريعة فإنَّه يفهم الفقه بطريق كتب الأئمة الأربعة الأولى التي ذكرنا وسعة النَّصّ، الكتب المتأخرة تفهم بها الفقه، لكن صعب أنْ تجعلها تقيدك في فهم النوازل المعاصرة، والأمثلة لذلك كثيرة، التعاريف الآن جزء من الخلاف الفقهي القوي في المسائل المعاصرة راجع للخلاف في التعاريف، نشأة التعاريف في كتب الفقه هٰذَا علم مستقل، كيف نشأت التعاريف؟ تعريف مثلًا البيع، اترك تعريف الصلاة وَالزَّكَاة والصيام والحج.

⬅الآن نأتي في المعاملات، تعريف البيع، تعريف الشركة، تعريف الحوالة، تعريف الربا نفسه، تعريف المزارعة، المساقاة، إِلَىٰ آخره، تعريف الاستصناع، التعاريف هٰذِه من أين أتت؟ الحوالة تعريف وثلاثين صفحة، هي ما فيها إلا حديث واحد عن النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ«ومن أُحيل إِلَىٰ مليءٍ» أو «عَلَىٰ مليءٍ فليتبع»، التعاريف هٰذِه، كيف نشأ التعريف؟ الذي يقيدنا لفهم الحياة المعاصرة، نشأ التعريف كحركة تجميعية لأقوال المذاهب، لأقوال كتب المذهب قبل نشوء التعريف؛ لأنَّه لـمَّا جاءت الفلسفة والمنطق وصارت العلوم كلها بالحدود يعني: تُفهم بالحدود، وكل شيء يُجعل له حد، وكل حد لَا بُدَّ أن يكون من صفته كذا وكذا، نشأت التعاريف.

التعريف يأتي بعد المسائل، ينظرون في مسائل الإماء أو مسائل المذهب بحسب الكتب التي بين أيديهم، وينشئون تعريفًا ينطبق عَلَىٰ تلك المسائل، هٰذِه التعريفات مصنوعة، ليست هي كأقوال الأئمة، تُقرِّب العلم نعم، نفهم بها العلم نعم، لكن أن تكون مضيقةً لنا سعة الشريعة في فهم الواقع المعاصر الفقهي؟ لا أختار ذلك، ولا أظن مجتهد فقهي معاصر يعاني النوازل يختار هٰذَا التضييق لفهم الفقه بناءً عَلَىٰ التعاريف والشروط الموجودة في كتب الفقه.

أمَّا الأركان؛ فالرُّكن سهل، الأركان هي ما تقوم به ماهية الشيء، فما يقوم به البناء هو الركن، فهو سهل؛ لأنها تقوم بها حقيقة الشيء، أركان البيع ما يقوم به البيع، أركان النكاح ما يقوم به النكاح، وهكذا في سائرها، الأركان ليس هناك إشكال، لكن التعاريف والشروط هي فيها إشكال، هي إشكالها إذا تقيَّدت بها، لـمَّا يأتي فقيه يأتي يتكلَّم عن مسألة معاصرة، ويقول: هم عرَّفوا الحوالة بكذا، ما يمشي يا أخي، ما يمشي حفظك الله؛ لأنَّ تعريف الحوالة جاء متأخرًا بعد سنة خمسمائة للهجرة، تعريف البيع جاء بعد سنة ستمائة للهجرة، **البيع**: مبادلة مالٍ بمال، لـمَّا نأتي مثلًا المجامع الفقهية أرادت أن تَحل البيع مبادلة مالٍ بمال في بيع العلامات التجارية، "**البراندنيمز**"، "**البراندنيمز**" تباع؟ لها قيمة؟ شركة لها خمسين، ستين، مائة سنة، تريد أن تبيع اسمها بعشرة مليار، تبيع ماذا؟

لـمَّا نأتي إِلَىٰ تعريف كتب الفقه، المال ما هو؟ المال لازم يكون عين، ما فيه معنى؛ ولذلك جاء المجمع الفقهي قبل نحو عشرين سنة أو نحو ذلك لـمَّا أتوا لبيع "**البراند**"هٰذِه العلامات التجارية قالوا: المال، دخلوا في المال، نعم قالوا: البيع مبادلة مالٍ بمال، لكن المال ما هو؟ دخلوا في تعريف المال حتى لا يغيروا في التعريف، قالوا: المال ما يُتموَّل من أعيانٍ أو معاني، فأدخلوا العلامات التجارية التي هي معاني مكتسبة نتاج جهد مكتسب، أدخلوها في معنى المال، حتى ينطبق عَلَىٰ التعريف، وكانت سعة كبيرة بيعت بها علامات تجارية كثيرة.

وللمجامع الفقهية، وخاصة المجمع الفقهي الإسلامي الدولي، الذي يرأسه الآن فضيلة الشيخ الدكتور/ صالح بن حميد وَفَّقَهُ اللهُ، لها الكثير من الاجتهادات المصيبة، لأن فيه نقاش حر وعميق، والمجلة التي يصدرها فيها الكثير.

البنوك الإسلامية، اللجان اللي عندهم الإسلامية لها كثير من الإصدارات، وأظن الدكتور يوسف في أحد هٰذِه اللجان، لكن فيها الكثير من الإصدارات المهمة خاصةً في البيوع الجديدة.

✍**الخلاصة**:أنَّ الرجوع إعادة النظر، إعادة تحقيق كتب السلف،كتب الأئمة الأربعة وتلاميذهم في الفقه هي جزء مهم من التجديد المعاصر للفقه الإسلامي؛ لأنَّها تخلو من تقييدات المتأخرين التي غلب عليها المنطق والفلسفة ورعاية الأقوال السالفة في صنع التعريف وصنع الشروط، وما أشبه ذلك.

الْعِلْـــمُ قَـــالَ اللهُ قَـــالَ رَسُـــولُهُ
قَـالَ الصَّـحَابَةُ هُـم أُولُـوا العِرْفَـانِ
مَـا الْعِلْـمُ نَصْـبُكَ لِلْخِـلَافِ سَـفَاهَةً
بَـيْنَ الرَّسُـولِ وَبَـيْنَ رَأْيِ فُـلَانِ

❋ الأئمة الأربعة يدورون حول هٰذَا المعنى، كلهم، والكتب السالفة تدور حول هٰذَا المعنى، فالتَّفَقُّه عليها مع الكتب التي ذكرت هو مفيدٌ جدًّا جدًّا في النّوازل المعاصرة، لكن تفهم الفقه؛ لا يمكن أن تفهمه إلا بدراسة الكتب الفقهيَّة المتأخرة، يعني: لا يمكن أن يفهم الحنبليّ الفقه إلا بدراسة فقه الحنابلة عَلَىٰ نحو الكتب المتأخرة، المالكي لَا بُدَّ أن يدرس عَلَىٰ هٰذَا النحو فقه المالكية المتأخر، خليل وشروحه إِلَىٰ آخره، الشافعي لَا بُدَّ أن يقرأ [المنهاج] وشروحه، ونحو ذلك، الحنفي لَا بُدَّ أن يقرأ المختصرات، [مختصر]القدوري والغنيمي و[كنز الدقائق] وشروحها بهذا النحو، أو [الدُّرّ المختار] و[حاشية ابن عابدين] إِلَىٰ آخره، لَا بُدَّ أن تقرأها للتَّفَقُّه، لكن الاجتهاد في النَّوازل هٰذَا موضوع آخر.

☜شكرًا للدكتور يوسف عَلَىٰ هٰذِه اللَّفْتة المهمة في ذلك، وأرى أن يُحال هٰذَا الموضوع لمجلس القسم في المعهد العالي للقضاء، وأن يُدرس كيف نحيي كتب الأئمة الأربعة في الفقه وتلاميذهم ويُكْمَل دراسة ذلك عبر الجامعة، وَإِنْ شَاءَ اللهُ يكون في ذلك خير عظيم لدراسة الفقه الإسلامي.

شكرًا لكم.

❋❋❋❋❋❋❋

✍ **المقدم: معالي الشيخ عبد السلام السليمان.**

شكر الله لكم معالي الشيخ، لعل الدكتور/ خالد ... رئيس قسم الفقه أيضًا يتبنى هٰذِه الفكرة مع القسم.

أشكركم معالي الشيخ/ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ عَلَىٰ هٰذِه المحاضرة القيمة، وعَلَىٰ النصائح التي وجهتموها لنا جميعًا، وكذلك الشكر لمعالي مدير الجامعة عَلَىٰ حضوره ودعمه للمعهد العالي للقضاء، والشكر لكم أيضًا أصحاب السمو الملكي، الأمراء وأصحاب المعالي، والحضور الكرام.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ.



فهرس المحتويات

